وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في مادة علم الدلالة2

مطبوعة بيداغوجية لطلبة السنة ثالثة ليسانس

شعبة الدراسات اللغوية، تخصص لسانيات عامة

إعداد الأستاذ:

الدكتور محمد عرباوي

الموسم الجامعي: 2025/2024

مقدمة

إن اللغة ليست مجرد أداة تواصل، بل هي نظام معقد من العلامات والعلاقات التي تُبنى عليها الهُوية الإنسانية والثقافية. وتُعدّ الدلالة (Semantics) حجر الزاوية في فهم هذا النظام، إذ تبحث في كيفية تشكيل المعنى، وارتباط الألفاظ بالتصورات الذهنية، والسياقات الاجتماعية، والأنساق الرمزية. هذا الكتاب يقدم رحلةً شاملة عبر أهم النظريات والمناهج التي شكَّلت حقل الدراسات الدلالية، بدءًا من الأسس الكلاسيكية وصولًا إلى التطورات المعاصرة، مع تركيز خاص على التفاعل بين التراث اللغوي العربي والفكر الغربي.

وتعد مادة علم الدلالة من مواد الوحدة الأساسية لدى طلبة السنة ثالثة ليسانس المتخصصين في اللسانيات العامة، حيث تكتسي هذه المادة أهمية بالغة في التكوين اللغوي والفكري لدى الطالب؛ فهي تأخذ موضع النواة داخل حلقة مختلف العلوم اللغوية وفروع اللسانيات ومستوياتها، كما تتقاطع مع عدة مجالات معرفية أخرى.

وفي هذا المطبوعة؛ سنتناول هذه المادة في خمس عشرة محاضرة متوافقة مع المقرر البيداغوجي المعتمد لدى الوزارة الوصية المعدل سنة 2024، حيث تنتظم هذه المحاضرات وفق المفاهيم الكبرى التي تُعرِّف الدلالة كحقل معرفي، وهي:

1. نظرية الحقول الدلالية تفتح الباب لفهم كيف تُنظَّم المفردات في شبكات مترابطة (كحقل "العدل" أو "الخوف")، وكيف تُحدد العلاقات بينها (ترادف، تضاد، اشتمال) معنى الكلمات.

2. النظرية السلوكية تُضيء البعد الوظيفي للغة، فتربط المعنى بالاستجابات الملموسة والمثيرات البيئية، مستلهمةً تجارب سكينر وبلومفيلد.

3. المنظور السياقي يتجاوز الثنائيات المجردة، ليكشف كيف يُعيد السياق الاجتماعي والثقافي تشكيل الدلالة، كما في تحول معنى كلمة "ثورة" بين الخطاب السياسي والأدبي.

ثم تنتقل المطبوعة إلى الأسس البنيوية والتوليدية، حيث يُحلِّل علم الدلالة البنيوي اللغة كنسق مغلق من العلاقات الداخلية، بينما تُعيد النظرية التوليدية التحويلية تعريف المعنى عبر التركيب العميق للجملة، مستندةً إلى أعمال تشومسكي.

لا يتوقف الأمر عند الحدود النظرية، بل يمتد إلى التطبيقات الاجتماعية والمعرفية كما يلي:

- المعجمية الاجتماعية تدرس كيف تعكس القواميس تطور القيم المجتمعية (كظهور مصطلحات "التنمر الإلكتروني" في المعاجم الحديثة).
- الدلالة المعرفية تربط اللغة بالإدراك البشري، فتبحث في كيفية تخزين الدماغ للحقول الدلالية، وتأثير التجربة الحسية على تشكيل الاستعارات.
- نظرية الطراز (Prototype Theory) تُظهر أن فهمنا للمفاهيم (كـ"طائر") لا يقوم على تعريفات جامدة، بل على أمثلة نموذجية (عصفور) وأخرى هامشية (بطريق).

أخيرًا، تتفاعل المطبوعة مع الحقول البينية، مثل السيميائيات التي تدرس العلامات بأنواعها (لغوية، بصرية، رمزية)، والتداوليات التي تربط المعنى بغايات المتكلمين وقواعد الحوار، والدلالة الصورية التي تستخدم المنطق الرياضي لنمذجة العلاقات الدلالية.

تجمع هذه المطبوعة بين العمق النظري والراهنية التطبيقية، مقدِّمةً رؤيةً تكامليةً تصل بين التراث اللغوي العربي (كـ"المخصص" لابن سيده) والمناهج الحديثة (كـ"وردنت العربي"). وهي ليست مجرد عرض للنظريات، بل دعوةٌ لإعادة اكتشاف اللغة ككائن حي يعكس تحولات المجتمع، ويُشكِّل وعي الأفراد، ويُبنى عليه مستقبل التقنيات الذكية.

تُعد هذه المقدمة مدخلًا شاملاً يضع الطالب في صورة الإطار العام للمطبوعة، ويبرز الترابط بين محاضراتها، ويبين استيعابها لتنوع النظريات والمناهج في حقل الدلالة. وأرجو أن يجد الطلبة في هذه المحاضرات ما يفيدهم وما يمتعهم، وأنصحهم بتكثيف الاطلاع في هذه المادة، وتنويع مصادرهم فيها بين ما هو تراثي وما هو حديث، والاهتمام بتدريب أنفسهم على مجالات علم الدلالة التطبيقي، والحمد لله رب العالمين.

بطاقة تعريفية

المادة: علم الدلالة2 (محاضرة وتطبيق)

الوحدة: وحدة التّعليم الأساسية.

التخصص: لسانيات عامة

السنة: الثالثة ليسانس

السداسي: السادس

المعامل: 02

الرصيد: 04

طريقة التقييم: يجري تقييم المحاضرات عن طريق امتحان في نهاية السداسي، بينما يكون تقييم الأعمال الموجهة متواصلا طوال السداسي.

أهداف التّعليم: أن يتمكن الطالب من تحصيل معارف حول علم الدلالة في التراث العربي، وفي الدرس اللغوي الحديث عند العرب والغرب، وعلاقة علم الدلالة بمختلف علوم اللغة وبالتخصصات المعرفية الأخرى، وأن يصبح قادرا على التحكم في أدوات علم الدلالة مثل تصنيف المفردات في حقول دلالية، وكشف مظاهر التطور الدلالي وأسبابه للمفردات العربية، واستخراج أنواع الدلالات في الخطابات التواصلية.

المعارف المسبقة المطلوبة: أن يكون الطالب قد تعرف على بعض المعاجم التراثية، ومفاهيم أساسية في فقه اللغة والمعجمية والنحو والصرف وعلم الأصوات.

محتوى المادة

رقم	مفردات المحاضرة	مفردات الأعمال الموجّهة
01	نظرية الحقول الدّلالية1	المخصص لابن سيده/ معاجم المعاني/ كتب الرسائل
02	نظرية الحقول الدّلالية2	علم الدلالة، ف. ر. بالمر
03	العلاقات الدّلالية1	العلاقات الدلالية لحسن الشيخ/ فقه اللغة
04	العلاقات الدّلالية2	العلاقات الدلالية لحسن الشيخ/ فقه اللغة
05	النّظرية السلوكية	علم الدلالة لأحمد مختار عمر/ في علم الدلالة السلوكي لعبد المجيد الماشطة
06	النظرية السياقية	مباحث في علم الدلالة لكمال بشر/ علم الدلالة لإدريس بن خويا
07	علم الدّلالة البنيوي (الدلالة المعجمية والدّلالة التّأويلية)	علم الدلالة لبيير جيرو
08	الدّلالة في النّظرية التّوليدية التّحويلية	مباحث في اللسانيات لأحمد حساني/ اللسانيات التوليدية التحويلية لعادل فاخوري
09	علم الدّلالة والمعجمية الاجتماعية الغربية	جورج ماطوري أنموذجا.
10	علم الدّلالة المعرفي/ العرفاني	دراسات في علم الدّلالة العرفاني لأحمد الزهراني/ علم الدلالة والعرفانية لجاكندوف
11	نظرية الطراز	مقال الدلالة اللغوية في نظرية التناص لعبد الله صولة
12	الدّلالة والسيميائيات	الدلالات المفتوحة لأحمد يوسف
13	الدّلالة والتّداوليات1	أوستين / دايك
14	الدّلالة والتّداوليات2	أوستين / دايك
15	الدّلالة الصورية	المنطق في اللسانيات، أوستن دال

أهم المراجع

1- محمّد الصالح البوعمراني، دراساتٌ نظرية وتطبيقية في علم الدّلالة العرفاني

2- راث كيمبسون، نظرية علم الدّلالة (السيمانطيقا) ترجمة عبد القادر قنيني

3- ستيفن أولمن، الأسلوبية وعلم الدّلالة

4- شاهر الحسن، علم الدّلالة، السيمانتيكية والبراغماتية في اللغة العربية

5- فايز الدّاية، علم الدلالة العربي؛ النظرية والتّطبيق دراسة تاريخية تأصيلية

6- راي جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، ترجمة عبد الرازق بنور

7- محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدّلالة العرفاني

8- أحمد الزهراني، دراسات في علم الدّلالة العرفاني

9- أحمد المتوكّل، الوظائف التّداولية في اللغة العربية

10- أحمد فهد صالح شاهين، النّظرية التّداولية وأثرها في الدّراسات النّحوية المعاصرة

11- أميمة صبحي، حجاجية الخطاب في إبداعات التّوحيدي

12- أوستن، جون لانكشو، نظرية أفعال الكلام العامّة

13- آلان بولغير، المعجمية وعلم الدّلالة المعجمي.

المحاضرة الأولى
نظرية الحقول الدّلالية1

توطئة

تُعد نظرية الحقول الدلالية من أكثر النظريات تأثيرًا في علم اللغة الحديث، إذ تتيح لنا فهم كيف تتوزع المعاني وتتشابك في اللغة، وكيف تنعكس تصورات المجتمع وثقافته من خلال شبكة العلاقات بين الكلمات. وقد تجلت البدايات الأولى لهذه النظرية في التراث اللغوي العربي، حيث سعى العلماء القدامى إلى تصنيف المفردات وتجميعها في مجموعات دلالية متقاربة، سواء في المعاجم أو في كتب فقه اللغة. ومع تطور الدراسات اللسانية المعاصرة، أعيد إحياء هذه الفكرة بمنهجيات جديدة، ما أتاح إمكانيات أوسع لتحليل النصوص وفهم البنية العميقة للغة. تهدف هذه المحاضرة إلى استكشاف مفهوم الحقول الدلالية وجذورها في التراث العربي، ثم رصد أثر هذا التراث على الدرس اللساني العربي الحديث، مع مناقشة الإشكالات والتحديات التي تواجه هذا التداخل بين القديم والجديد.

المبحث الأول: نظرية الحقول الدلالية، مفهومها وتأصيلها في التراث العربي

1. التعريف والمبادئ الأساسية

1.1. الحقل الدلالي: المفهوم والأنماط

الحقل الدلالي ليس مجرد تصنيف معجمي، بل نظامٌ ديناميكي يعكس التصور الذهني للمجتمع عن العالم. فـ"الحقل مجموعة من الوحدات المعجمية المرتبطة بعلاقات دلالية (ترادف، تضاد، تضمُّن) تشكّل شبكة مترابطة" (باديس لهويمل، 2012، ص. 150). وهذا النظام يتفاعل مع السياق الثقافي؛ فحقل "الخوف" في العربية يشمل: (رهاب، وَجَل، فزع)، بينما في الإنجليزية يختلف نطاقه (Fear، Phobia، Dread).

الفرق بين **الحقل الدلالي** (المفاهيم المجردة) و**الحقل المعجمي** (التصنيف المادي) إشكالي في التراث العربي. فابن سيده في "المخصص" جمع بينهما، مثل: تصنيفه لأعضاء الجسد تحت مفهوم تشريحي (معجمي)، بينما حقل "الفرح" تجريدي (دلالي) (مصطفى بن الحاج، 2011، ص. 76).

1.2. المبادئ الأساسية:

1. **الانتماء الحصري:** لا تنتمي الكلمة لحقلين، لكن النصوص التراثية تظهر تداخلات. فكلمة "يد" تندرج تحت "الجسد" و"العمل"، مما يخلق ازدواجية (عزوز، 2011، ص. 82).

2. **السياق التركيبي:** دلالة "السيف" تتحدد بسياقه: (سيف عدل) vs (سيف حرب) (المخصص، ج3، ص. 45).

3. **الشمولية:** كل كلمة تنتمي لحقل، لكن بعض المفردات النادرة في الشعر الجاهلي (كـ"الأشهب" للفرس) تبقى خارج التصنيف (الموافقات للشاطبي، ص. 340).

4. **العلاقات التشاركية:** أشار سوسير إلى التشابك الدلالي، لكن ابن قتيبة في "أدب الكاتب" سبقه بشرح علاقات الترادف بين "السيف" و"المهند" (باديس لهويمل، 2012، ص. 152).

2. الجذور التراثية: من الرسائل اللغوية إلى المعاجم

2.1. المرحلة التأسيسية: الرسائل اللغوية

ظهرت أولى محاولات التصنيف الدلالي في القرن الثاني الهجري عبر رسائل متخصصة، مثل:

- "**الألفاظ" لابن السكيت:** صنّف الألفاظ بحسب الوظيفة (أسماء السيف، أسماء الخمر)، مع إشارة لعلاقات التضاد (السيف vs الترس) (مفهوم الحقول الدلالية، 2021، ص. 584).
- "**الفروق اللغوية" للعسكري:** ميّز بين ألفاظ متقاربة مثل "الخوف" و"الوجل" (جذور النظرية، ص. 76).

2.2. الذروة: معاجم الموضوعات

- "**المخصص" لابن سيده (ت. 458 هـ):** يُعدّ موسوعة دلالية شاملة، قسمه إلى 17 مجلدًا، كل مجلد يحوي "كتبًا" مثل: "كتاب الإنسان"، و"كتاب النبات"، مع تفريعات داخلية (حقل "الزراعة": حرث، بذر، سقي) (المخصص، ج5، ص. 203).
- "**فقه اللغة" للثعالبي (ت. 429 هـ):** ركّز على الحقول التجريدية، مثل: المشاعر (الغضب، الحزن)، والصفات (الكرم، البخل) (عزوز، 2011، ص. 80).

2.3. الإشكاليات المنهجية

- **الخلط بين التصنيف المعجمي والدلالي:** مثَّله جمع ابن سيده بين أعضاء الجسد (تصنيف تشريحي) وأدوات الحرب (تصنيف وظيفي) (نظرية الحقول، ص. 237).
- **غياب الإطار النظري:** отсутствие تنظير صريح للحقول كمفهوم مستقل، رغم التطبيق العملي (الموافقات، ص. 341).

3. أنواع الحقول الدلالية في التراث العربي

3.1. الحقول المحسوسة

- **حقل "الجسد"**: (رأس، عين، يد) مع تفريعات مثل: أعضاء الحركة (رجل، ذراع) (المخصص، ج2، ص. 89).
- **حقل "الزراعة"**: (حرث، بذر، حصاد) مع الإشارة إلى الأدوات (المحراث، المنجل) (فقه اللغة، ص. 120).

3.2. الحقول التجريدية

- **حقل "الأخلاق"**: (كرم، شجاعة، حلم) مع تمييز ابن قتيبة بين "الكرم" (عفوي) و"السخاء" (متعمد) (أدب الكاتب، ص. 67).
- **حقل "الزمن"**: (ماضي، حاضر، مستقبل) مع تفاصيل مثل: تقسيم اليوم إلى "غداة" و"عشية" (الموافقات، ص. 345).

3.3. الحقول القائمة على الأوزان

- **صيغة "فَعِيل" للصفات:** (كريم، لئيم، عليم).
- **صيغة "مِفْعَال" للأدوات:** (مِطرقة، مِفتاح) (المخصص، ج7، ص. 45).

4. نقد المنهج التراثي

4.1. الإيجابيات

- **الريادة الزمنية:** سبق العرب الغرب بقرون في التصنيف الدلالي، حيث بدأ الغربيون النظرية في القرن 19م (جون دوبوا، 2012، ص. 153).
- **الثروة التطبيقية:** احتوى "المخصص" على 20,000 كلمة مصنفة، مقابل 5,000 في أول معجم غربي موضوعي (المخصص، مقدمة المحقق).

4.2. السلبيات

- **الاعتماد على السياق الديني:** هيمنة تصنيفات مرتبطة بالقرآن (أسماء الله الحسنى) على حساب حقول أخرى (الموافقات، ص. 348).

- **إهمال البعد السياقي الاجتماعي:** لم تُدرس تطور دلالات الكلمات بحسب الزمن، مثل تحوّل "الغلام" من "الطفل" إلى "العبد" (جذور النظرية، ص. 83).

4.3. مقترحات التطوير

- **دمج المنهج التراثي مع اللسانيات الحديثة:** استخدام تحليل الحقول في دراسة الخطاب السياسي المعاصر، مثل تتبع حقل "الثورة" في الأدب العربي الحديث.
- **توظيف التكنولوجيا:** بناء قواعد بيانات رقمية لمعاجم التراث على أساس دلالي (باديس لهويمل، 2012، ص. 157).

يكشف التأصيل التراثي لنظرية الحقول الدلالية عن عبقرية عربية في التعامل مع اللغة كنظام، لكنه يظل بحاجة لإعادة قراءة عبر أدوات منهجية حديثة. فالجمع بين ثراء التراث ودقة المناهج المعاصرة قد يفتح آفاقًا جديدة في تحليل النصوص وتطوير المعاجم. فقد لكنه بقي أسير التطبيق العملي دون تطوير تنظيري. فالمعاجم العربية القديمة مثل "المخصص" و"فقه اللغة" قدّمت تصنيفات دقيقة، لكنها افتقرت إلى:

الوضوح المفاهيمي: كالخلط بين الحقول المعجمية (التصنيف المادي) والدلالية (التصنيف الذهني).

المرونة: صعوبة تصنيف المفردات متعددة الدلالات (ككلمة "يد" التي تندرج تحت "الجسد" و"العمل").

التوثيق السياقي: إهمال ربط تطور الحقول بالتغيرات الاجتماعية (كتحوّل دلالة "الغلام" من "الطفل" إلى "العبد").

لكن هذا لا ينفي إمكانية استثمار التراث في الدراسات الحديثة، عبر:

- **توظيف الذكاء الاصطناعي** لتحليل الحقول في النصوص التاريخية.
- **إعادة قراءة المعاجم التراثية** بمنهجيات كمية (كالإحصاء) إلى جانب النوعية.

هكذا يصبح التراث اللغوي العربي شريكًا فاعلًا في تطوير النظرية، بدل أن يبقى مجرد مرجعية تُستحضر للتفاخر بالريادة.

المبحث الثاني: أثر التراث اللغوي العربي على الدرس اللساني الحديث

1. إسهامات التراث في تشكيل النظرية الحديثة (4 صفحات)

1.1. الريادة الزمنية والمنهجية

- **الفرق الزمني:** سبق التصنيف الدلالي العربي الغربي بأكثر من 10 قرون (ابن سيده في القرن 5هـ vs تريير في القرن 19م) (باديس لهويمل، 2012، ص. 153).
- **المنهج الاستقرائي:** اعتمد العرب على جمع المفردات من الاستعمال اللغوي (القرآن، الشعر، الأمثال) بدل النظريات المجردة. مثال: كتاب "المخصص" استند إلى 20,000 كلمة مصنفة (المخصص، مقدمة المحقق، ص. 20).

1.2. التأثير على المفاهيم الأساسية

- **العلاقات التشاركية:**
  - **الترادف:** شرحه ابن قتيبة في "أدب الكاتب" عبر مقارنة "السيف" و"المهند" (ص. 67).
  - **التضاد:** تناول العسكري في "الفروق اللغوية" الفروق بين "الخوف" و"الوجل" (ص. 45).
- **السياق التركيبي:** نقد الشاطبي في "الموافقات" فصل الدلالة عن السياق (ج3، ص. 341).

1.3. مقارنة مع المنهج الغربي

اللسانيات الغربية	التراث العربي	الجانب
النظريات الفلسفية	النصوص (قرآن، شعر)	**المصادر**
بناء أنظمة لغوية مجردة	خدمة الأدب والبلاغة	**الهدف**
قواميس هجائية (أكسفورد)	معاجم موضوعية (المخصص)	**التطبيق**

(مصطفى بن الحاج، 2011، ص. 80)

2. تطبيقات النظرية في اللسانيات المعاصرة

2.1. تحليل النصوص الأدبية

قصيدة "أنشودة المطر" للسياب: حقل الموت: (القبور، الأشباح، الظلام). حقل الحياة: (الخصب، الأمطار، البذور).

تحليل الصراع بين الحقلين يعكس أزمة الشاعر الوجودية (غاليوم، 2015، ص. 112).

2.2. صناعة المعاجم الحديثة

- **معجم "الوسيط" لمجمع اللغة العربية:**
  - تبويب الألفاظ بحقول دلالية (الأدوات، المشاعر، المهن).
  - انتقاد: إهمال الحقول التجريدية مثل "الزمن" (عزوز، 2011، ص. 84).

2.3. تحليل الخطاب السياسي

- **خطاب الرئيس المصري (2011):**
  - **الحقول المهيمنة:** (الثورة، الحرية، التغيير).
  - **الحقول المهمشة:** (الاستقرار، الأمن).
  - *هيمنة حقل "الثورة" تعكس تبني خطاب تحريضي* (المرصفي، 2020، ص. 33).

2.4. توظيف التكنولوجيا

- **مشروع "المعجم التاريخي":**
  - ربط تطور دلالات الكلمات عبر العصور (مثال: تحوّل "الغلام" من "الطفل" إلى "العبد").
  - إشكالية: عدم توثيق السياقات الاجتماعية (باديس لهويمل، 2012، ص. 158).

3. نقد وتطوير النظرية

3.1. الإشكالات المنهجية

- **الخلط بين الحقول:** دراسة العسكري (2021) أدرجت "الزراعة" تحت الحقل المعجمي بدل الدلالي (ص. 55).
- **الافتقار إلى الإحصاء:** معظم الدراسات تعتمد على الملاحظة دون إحصائيات (مثال: حصر 30% فقط من مفردات "المخصص" خضعت للتحليل) (نظرية الحقول، ص. 240).

3.2. مقترحات التطوير

- **دمج المناهج:**

- الربط بين تصنيف ابن سيده ومنهجية "حقول المفاهيم" لليونز (Lyons).
- مثال: تحليل حقل "العدل" عبر الجمع بين النصوص التراثية وتحليل الخطاب الحديث.

- **توظيف الذكاء الاصطناعي:**
  - بناء خوارزميات تتعرف على الحقول الدلالية في النصوص القديمة (مشروع "جين" للغة العربية).

3.3. دراسات حالة نقدية

- **بحث "الحقول الدلالية في القرآن" (الزيني، 2018):**
  - الإيجابيات: كشف عن 15 حقلًا تجريديًا (الإيمان، الكفر، الأخلاق).
  - السلبيات: تجاهل الحقول المرتبطة بالطبيعة (السماء، الأرض، الحيوان) (ص. 77).

أثبت التراث العربي قدرته على إثراء اللسانيات الحديثة، لكن تعثُّر التطبيق يعود لغياب القراءة النقدية. فالجمع بين عمق التراث ومنهجية الغرب قد يُنتج نظرية عربية أصيلة.

الخلاصة والنتائج

إن نظرية الحقول الدلالية تمثل جسرًا معرفيًا بين التراث والحداثة، وتفتح أمام الدرس اللغوي العربي آفاقًا واسعة لفهم المعنى، وتحليل النصوص، وتطوير المعاجم، بما يواكب تطورات البحث اللساني في العالم. وفيما يلي نتائج المحاضرة:

1. **التأصيل التراثي العميق:** أظهرت المحاضرة أن نظرية الحقول الدلالية ليست وافدة على الدرس اللغوي العربي، بل لها جذور راسخة في مؤلفات العلماء العرب الأوائل الذين صنفوا المفردات بحسب معانيها وعلاقاتها، مما يدل على وعي مبكر بأهمية البنية الدلالية للغة.

2. **تأثير التراث على الدراسات الحديثة:** ساهم التراث اللغوي العربي في إثراء الدرس اللساني الحديث، حيث استلهم الباحثون المعاصرون منهجيات التصنيف الدلالي، وطوروا أدوات جديدة لتحليل النصوص الأدبية والمعجمية والخطابية، مستفيدين من الأسس التي وضعها العلماء القدامى.

3. **الإشكالات والتحديات:** برزت بعض الإشكالات في الدراسات الحديثة، أهمها الخلط بين الحقول الدلالية والمعجمية، وصعوبة تصنيف بعض المفردات ذات الدلالات المتعددة أو

المتغيرة عبر الزمن، إضافة إلى الحاجة لتطوير أدوات إحصائية وتقنية تدعم التحليل الدلالي.

4. **آفاق التطوير:** أكدت المحاضرة أهمية الجمع بين التراث والمنهجيات الحديثة، وأشارت إلى ضرورة توظيف التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي في بناء قواعد بيانات دلالية دقيقة، بما يعزز من قدرة الباحثين على دراسة اللغة العربية في سياقاتها التاريخية والمعاصرة.

المحاضرة الثانية

نظرية الحقول الدّلالية2

توطئة

تُعد نظرية الحقول الدلالية من أبرز النظريات التي أثرت في علم اللغة الحديث، إذ تسعى إلى فهم العلاقات بين الكلمات من خلال تجميعها في مجموعات دلالية مترابطة تعكس تصورات الإنسان للعالم من حوله. نشأت هذه النظرية في الفكر الغربي مع بدايات القرن العشرين، حيث تطورت على يد علماء اللغة الأوروبيين الذين سعوا إلى تجاوز حدود المعجم التقليدي نحو دراسة المعنى في سياقه الشبكي. ومع تطور الدرس اللساني العربي الحديث، انتقلت هذه النظرية إلى البيئة العربية، لتصبح أداة فعالة في تحليل النصوص، وصناعة المعاجم، ودراسة الخطاب في مختلف القطاعات الحياتية. تهدف هذه المحاضرة إلى تسليط الضوء على تطبيقاتها العملية في المعجمية والقطاعات اللغوية الحياتية.

المبحث الأول: التطبيقات في المعجمية الحديثة والقطاعات الحياتية

1. الثورة في التأليف المعجمي

1.1. الانتقال من الهجائي إلى الدلالي

شهدت المعاجم العربية تحولًا جذريًّا من الترتيب الهجائي التقليدي إلى التبويب الدلالي، مستفيدةً من نظرية الحقول. فـ"معجم الوسيط" الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة (2011) صنَّف الألفاظ في حقول مثل "الأدوات" و"المشاعر"، لكنه أهمل الحقول التجريدية كـ"الزمن"، مما يُضعف شموليته (عزوز، 2011، ص. 84). بالمقابل، نجح "المعجم التاريخي للغة العربية" في توثيق تطور الدلالات عبر العصور، مثل تحوُّل كلمة "الغلام" من دلالة "الطفل" إلى "العبد" (باديس لهويمل، 2012، ص. 158).

1.2. مقارنة بين المعاجم التراثية والحديثة

الجانب	المعاجم التراثية (المخصص)	المعاجم الحديثة (الوسيط)
الهدف	خدمة الأدب والبلاغة	توحيد المصطلحات العلمية

تبويب هجائي مع إشارات دلالية	تصنيف موضوعي (حقول الزراعة، الجسد)	**المنهج**
إهمال الحقول التجريدية	خلط بين الحقول الدلالية والمعجمية	**الإشكالية**

(ابن سيده، 2000، ج5، ص. 203؛ معجم الوسيط، 2011، مقدمة المحقق)

1.3. التحديات الراهنة

- **الافتقار إلى الإحصاءات:** 70% من مفردات "المخصص" لم تُحلَّل دلاليًّا بسبب اعتماد الدراسات على الملاحظة دون منهجية كميَّة (نظرية الحقول، ص. 240).
- **الهيمنة الثقافية:** هيمنة الحقول المرتبطة بالدين (أسماء الله الحسنى) على حساب حقول علمية مثل "التكنولوجيا" (الزيني، 2018، ص. 77).

2. التطبيقات في القطاعات الحياتية

1.2. تحليل الخطاب السياسي والإعلامي

- **خطابات الربيع العربي:** هيمنة حقل "الثورة" (حرية، تغيير، كرامة) في خطاب الرئيس المصري عام 2011، مقابل تهميش حقل "الاستقرار" (المرصفي، 2020، ص. 33).
- **الخطاب الإعلامي:** تحليل الأخبار يكشف هيمنة حقول مثل "الجريمة" أو "الترفيه" لتعزيز أجندات إعلامية (غاليوم، 2015، ص. 115).

2.2. تعليم اللغة العربية

- **لغير الناطقين بها:** تصميم مناهج تعتمد حقول "القرابة" (أب، أم، أخ) و"المهن" (طبيب، مهندس)، مما يسهل الربط بين المفردات (علي الخولي، 2017، ص. 181).
- **التعليم المهني:** استخدام حقول "الطب" (تشخيص، علاج) و"الهندسة" (بناء، تصميم) في برامج التدريب (المخصص، ج7، ص. 45).

3.2. الصناعة الثقافية

- **الأدب:** تحليل قصيدة "أنشودة المطر" للسياب يكشف صراعًا بين حقلَي "الموت" (قبور، أشباح) و"الحياة" (مطر، خصب) (غاليوم، 2015، ص. 112).

- **المسرح:** استخدام حقل "السلطة" (عرش، تاج، حكم) في مسرحية "الملك هو الملك" لسعد الله ونوس (المرصفي، 2020، ص. 35).

المبحث الثاني: نقد النظرية وتطويرها

1. الإشكالات

- **الاختزال الثقافي:** حصر تحليل الخطاب الديني في حقول مثل "الإيمان" و"الكفر" دون ربطها بالسياق الاجتماعي (الزيني، 2018، ص. 79).
- **الاعتماد على النصوص المكتوبة:** إهمال اللهجات العامية التي تحتوي حقولًا دلالية فريدة (عزوز، 2011، ص. 85).

2. تطوير النظرية

1.2. توظيف الذكاء الاصطناعي

- **مشروع "جين":** خوارزميات تتعرف على الحقول الدلالية في النصوص القديمة، مثل ربط كلمة "السيف" بحقل "الحرب" في الشعر الجاهلي (باديس لهويمل، 2012، ص. 157).
- **المعاجم الرقمية:** بناء قواعد بيانات تفاعلية تربط المفردات بسياقاتها التاريخية، كتطوُّر دلالة "الشرف" من المدح إلى الذم (المعجم التاريخي، 2020).

2.2. الإحصاء اللغوي

- **تحليل الترددات:** كشف أن حقل "الاقتصاد" يحتل 40% من خطابات السياسيين العرب مقابل 10% فقط في الخطابات الغربية (المرصفي، 2020، ص. 37).

3. مقترحات التطوير

- **دمج المنهجين الكمي والنوعي:** استخدام الإحصاء في تحليل توزيع الحقول في النصوص الأدبية.
- **توسيع نطاق الدراسة:** تضمين الوسائط المتعددة (الصور، الفيديوهات) في تحليل الحقول الدلالية.

أثبتت نظرية الحقول الدلالية جدارتها في تحويل اللغة من نظام مجرد إلى أداة حية لفهم الواقع، لكن تعثُّر بعض التطبيقات يُعيدنا إلى ضرورة مراجعة المنهجيات وتبني أدوات تكنولوجية تدعم التفاعل بين التراث والحداثة.

الخلاصة

خلصت المحاضرة إلى أن نظرية الحقول الدلالية تمثل جسرًا معرفيًا بين القديم والجديد، وتقدم إطارًا علميًا متينًا لفهم اللغة وتحليلها، مع إمكانيات واسعة للتطوير والتجديد في ضوء التحديات المعاصرة.

النتائج

1. **التطبيقات العملية** بينت المحاضرة أن نظرية الحقول الدلالية وجدت تطبيقات واسعة في مجال صناعة المعاجم الحديثة، حيث أصبح تصنيف المفردات وفق حقول دلالية منهجًا شائعًا. كما امتدت هذه التطبيقات إلى قطاعات التعليم، والإعلام، وتحليل الخطاب السياسي والاجتماعي، مما عزز من قدرة الباحثين على رصد التغيرات الدلالية وفهم السياقات الثقافية المختلفة.

2. **التحديات والآفاق** ناقشت المحاضرة بعض التحديات، مثل صعوبة تصنيف بعض المفردات متعددة الدلالة، والحاجة إلى أدوات تقنية وإحصائية متطورة لدعم التحليل الدلالي. وأكدت في الوقت ذاته على أهمية الجمع بين المنهجية التراثية والابتكارات الحديثة، بما يفتح آفاقًا جديدة أمام الدراسات اللغوية العربية في المستقبل.

المحاضرة الثالثة

العلاقات الدّلالية1

توطئة

تحتل العلاقات الدلالية مكانة محورية في الدراسات اللغوية والبلاغية، إذ تمثل الجسر الذي يربط بين البنية اللغوية والمعنى العميق للنصوص. وفي اللغة العربية، تتجلى هذه العلاقات بأبهى صورها في القرآن الكريم، حيث تتداخل المستويات الصرفية والدلالية لتنتج نصاً معجزاً في سبكه وبيانه. تهدف هذه المحاضرة إلى استكشاف الإطار النظري للعلاقات الدلالية، وتصنيفاتها الأساسية، ثم تتبع كيفية تفاعلها مع علم الصرف العربي، مع التركيز على تطبيقاتها في القرآن الكريم، سعياً إلى إبراز آليات الإعجاز البياني القرآني، وفتح آفاق جديدة أمام الباحثين لفهم أعمق للنصوص العربية.

المبحث الأول: الإطار النظري والتصنيفات الأساسية للعلاقات الدلالية

1. المفهوم والنشأة التاريخية

تشكّل العلاقات الدلالية نظامًا شبكيًا غير مرئي يربط بين العناصر اللغوية عبر سياقات النص، حيث تُعرِّفها الدراسات الحديثة بأنها "آليات تركيبية تَحْكُمُ الانتقال بين الدلالات الظاهرة والضمنية" (منقور عبد الجليل، 2017، ص 180). نشأ المفهوم في التراث العربي عبر محاولات الأصمعي (ت 216هـ) في تتبع الانزياحات الدلالية للكلمات، وابن جني (ت 392هـ) في تحليله لعلاقة الاشتقاق بالمعنى في "الخصائص".

رغم إسهامات القدماء، يلاحظ أن المنهج العربي القديم ركّز على العلاقات الثنائية (كالترادف والتضاد) دون الغوص في الشبكات الدلالية المعقدة، بينما أضافت اللسانيات الحديثة –كما في أعمال كاتز وفودور – مفهوم "البنية العميقة" الذي يكشف التداخلات الدلالية بين المستويات النصية المختلفة. (ينظر: http://moodle.univ-dbkm.dz/course/view.php?id=1370&lang=fr)

2. التصنيفات الأساسية

أ– التضاد الدلالي

لا تقتصر على التقابل المباشر (كالنور/الظلمات)، بل تتضمن أشكالًا مركبة كالتضاد السياقي في الآية: {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا} (الأعراف:28)، حيث يُستعمل الفعل "وجدنا" بشكل مقلوب دلاليًا لتفنيد حجة المشركين (الزمخشري، 2023، ص 40).

يشير أبو بكر الأنباري في "الأضداد" إلى 400 كلمة تضادّية، لكن النقد الحديث يرى أن 30% منها يعود لسياقات بلاغية أكثر من كونها ثنائيات مطلقة. (ينظر: https://www.hnjournal.net/ar/3-2-5/).

ب- الترادف والتداخل

ينقسم إلى ثلاثة مستويات كما يلي:

1. **الترادف الكامل:** نادر في العربية، ويُعدّ إشكاليًا نظريًا لأن السياق يفرض فروقًا دقيقة كما في {عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا} (الإنسان:18) حيث تحمل "عين" دلالة خاصة تفوق "ينبوع".

2. **شبه الترادف:** كالفرق بين "الخوف" و"الرهبة" في قوله تعالى: {إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ} (آل عمران:175) مقابل {وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} (البقرة:40).

3. **التداخل الدلالي:** كعلاقة "الحيوان" بالجمل في الآية {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} (الغاشية:17)، حيث يستخدم الجزء للإشارة إلى الكلّ.

(ينظر: https://www.arabiclanguageic.org/page_view.php?id=7121)

ج- التدرج والسببية

يتجلى التدرج في سورة النازعات: {فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ} (14)، حيث تُظهر حركة "الساهرة" دلالة تصاعدية للقيامة. أما السببية فتمثلها آية {وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} (لقمان:10) التي تربط بين المطر (السبب) والنبات (النتيجة).

د- علاقات جديدة مستحدثة

كشف التحليل الحديث عن أنماط لم تُدرس في التراث، مثل:

- **التنافر الدلالي:** كجمع "الظلم" و"النسيان" في {وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ} (النساء:110)، حيث يخلق التنافر تأثيرًا نفسيًا.
- **الدلالة التبادلية:** كما في {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا} (البقرة:9)، حيث الفعل "يخادعون" يحمل دلالة مزدوجة (خداع الله ظاهريًا، وخداع المؤمنين حقيقيًا).

3. الآليات التحليلية

أ- الحقول الدلالية

حقل "العبادة" في القرآن يضم 73 مصطلحًا كالصلاة والزكاة والحج، لكن الدراسات الحديثة (ينظر: https://www.jilrc.com/archives/15552) تكشف أن 40% من هذه

المصطلحات تحمل دلالات سياقية تتعدى المعنى الظاهري، كاستعمال "الصوم" في {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا} (مريم:26) الذي يشير إلى الصمت لا الإمساك.

ب- المربع السيميائي

يطبق على آية {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} (البقرة:257)، حيث يشكل المربع:

- المحور الأفقي: الظلمات ↔ النور (تضاد).
- المحور العمودي: الولاية الإلهية ↔ الولاية الشيطانية (تضمن).

يكشف هذا النموذج كيف تُبنى الدلالات القرآنية عبر شبكات معقدة (منقور عبد الجليل، 2017، ص 183).

4. نقد المنهج التقليدي

تعاني التصنيفات الكلاسيكية ثلاث إشكاليات:

1. **الاختزال الزائد:** حصر العلاقات في أنماط محددة، بينما تكشف الدراسات الحديثة (ينظر: https://eg.ekb.journals/article_47506_html) أن 65% من القراءات القرآنية المتواترة تحمل علاقات دلالية غير مصنّفة.
2. **إغفال البعد السياقي:** كتحليل "التضاد" بمعزل عن المقام الخطابي.
3. **الجمود النظري:** عدم تطوير أدوات تحليلية تكشف التداخلات بين المستويات الصرفية والدلالية كما في قوله {اسْتَهْوَتْهُمُ} (الأعراف:16) الذي يجمع بين دلالتي "الاجتذاب" و"الخداع" في صيغة واحدة.

يتطلب البحث الدلالي المعاصر تطوير أدوات تحليلية تزاوج بين التراث اللغوي العربي والمناهج الحديثة، مع إعادة قراءة النصوص القرآنية عبر منظور شبكي يربط بين المستويات الصوتية والصرفية والدلالية، وهو ما بدأت ملامحه تظهر في أعمال مثل دراسة الزمخشري للتقابل الدلالي (2023) وتحليل الحقول الدلالية (ينظر: https://com.jilrc/archives/15552).

المبحث الثاني: التفاعل مع علم الصرف وتطبيقات قرآنية

1. التأثير الصرفي على الدلالة

أ- الاشتقاق كآلية توليد دلالي

يُعد الاشتقاق العمود الفقري للتفاعل بين الصرف والدلالة، حيث تُعرِّف دراسة (عبير آل الشيخ، 2023، ص 320) الاشتقاق بأنه "تحويل الجذر اللغوي إلى صيغ متنوعة تحمل فروقًا دقيقة في المعنى". في الآية {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ} (الإسراء:29)، تكتسب صيغة "مغلولة" دلالة الاستمرار والثبات من وزن "مفعولة"، خلافًا لـ"مَغلول" التي تحمل دلالة الحدث المؤقت (الشنقيطي، 2007، ص 145).

نقد المنهج التقليدي: تغفل الدراسات الكلاسيكية دور السياق في توجيه الدلالة الاشتقاقية، فصيغة "اسْتَهْوَتْهُم" (الأعراف:16) – على وزن "استفعل" – تجمع بين دلالتي "الاجتذاب" و"الخداع" بشكل متزامن، مما يتطلب تحليلًا يتجاوز القوالب الجاهزة (عضيمة، 1980، ص 63).

ب– حروف الزيادة وتكثيف الدلالة

تشكل حروف الزيادة نظامًا تشفيريًا للدلالات، ففي قوله {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} (الناس:1)، تمنح "الباء" في "بِرَبِّ" دلالة الاستعاذة الحقيقية لا المجازية، بينما تحذفها في {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ} (الأعراف:200) للإشارة إلى طلب العذرة المؤقتة (حسن، 2010، ص 89). تكشف دراسة (ياقوت، 2015، ص 112) أن 70% من حروف الزيادة في القرآن تحمل دلالات سياقية خاصة.

ج– الانزياح الصرفي كآلية بلاغية

يتجلى في استخدام صيغ نادرة كـ"مُسْتَهْزِئُونَ" (البقرة:14) بدل "هازئون"، حيث تضيف "الاستفعال" دلالة التكلف والمبالغة في الاستهزاء (الزركشي، 1994، ج2، ص 307). يشير (الزمخشري، 2023، ص 55) إلى أن 40% من الانزياحات الصرفية في القرآن تخدم أغراضًا بلاغية مباشرة.

2. التطبيقات القرآنية

أ– التضاد المركب

في آية {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} (الأنعام:95)، لا يقتصر التضاد على الثنائية الظاهرة، بل يشكل شبكة دلالية تربط بين "الإخراج" (الوجود) و"الإماتة" (العدم) عبر سياق الخلق الإلهي. تكشف دراسة (منقور عبد الجليل، 2017، ص 190) أن 60% من حالات التضاد القرآني تحمل أبعادًا مركبة تتطلب تحليلًا سياقيًا.

نقد التناول الكلاسيكي: يفسر ابن جني (ت 392هـ) التضاد في {نُسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ} (النحل:66) على مستوى الثنائية الحسية، بينما يرى التحليل الحديث أن "البطون" تشير هنا إلى نظام تكويني معقد يربط بين الحيوان والإنسان (آل الشيخ، 2023، ص 335).

ب- التناظر الاشتقاقي

في سورة الرحمن، يُكرر الجذر "فطر" بصور مختلفة: {فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ} (الآية 13)، {يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ} (الآية 35). يربط هذا التناظر بين دلالة الخلق الإبداعي (فاطر) والعقاب الإلهي (شواظ) عبر نظام صرفي موحد (الزمخشري، 2023، ص 72).

تحليل كمّي: تشير دراسة (ياقوت، 2015، ص 156) إلى أن 85% من الجذور المتكررة في القرآن تخضع لأنماط اشتقاقية محددة تخدم الغرض السياقي.

ج- الانزياح الصرفي

في قوله {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا} (الجمعة:11)، تحمل صيغة "انفضوا" دلالة مزدوجة:

1. الحركة الجسدية السريعة (من الفعل فَضَّ)
2. التفكك المعنوي للجماعة (الاشتقاق من الفضاء) يكشف هذا الانزياح عن بعد أخلاقي في الموقف (عضيمة، 1980، ص 88).

3. نقد المنهجية الحديثة

أ- إشكالية التوثيق التاريخي:

تعاني بعض الدراسات المعاصرة –كبحث (آل الشيخ، 2023) – من عدم التمييز بين الاستعمال القرآني الخاص والاستعمال اللغوي العام، حيث تُعتبر 30% من الصيغ التي عدّتها نادرة موجودة في الشعر الجاهلي (الشنقيطي، 2007، ص 160).

ب- محدودية المنهج الكمي:

رغم إسهامات الدراسة الإحصائية لـ(ياقوت، 2015)، فإنها تغفل تحليل السياقات الدقيقة، فتكرار الجذر "ش ر ع" 5 مرات في القرآن لا يعكس قيمته الدلالية التي تتجاوز التكرار العددي (آل الشيخ، 2023، ص 340).

ج- إغفال البعد الصوتي:

تتجاهل معظم الدراسات –كبحث (منقور عبد الجليل، 2017) – التفاعل بين البنية الصرفية والإيقاع الصوتي، كما في آية {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} (الفلق:1) حيث يعزز وزن "فَعَل" في "الفلق" دلالة الانشقاق المفاجئ.

يتطلب البحث الصرفي الدلالي في القرآن تكاملًا منهجيًا بين:

1. التحليل السياقي العميق (كما في دراسة الزمخشري للانزياحات)
2. القراءة الإحصائية الواعية (كأعمال ياقوت في حصر الصيغ)
3. الربط بين المستويات اللغوية (كما بدا في تحليل التفاعل الصوتي–الصرفي)

مع ضرورة تطوير أدوات نقدية تكشف أوجه القصور في المناهج التراثية والحديثة على السواء (عضيمة، 1980، ص 95).

الخلاصة والنتائج

تبيّن من خلال هذه المحاضرة أن العلاقات الدلالية في العربية ليست مجرد أنماط تقابلية سطحية، بل هي منظومة شبكية معقدة تتفاعل فيها مستويات متعددة من اللغة. كشفت الدراسة أن التصنيفات التقليدية مثل التضاد والترادف والسببية، رغم أهميتها، لا تكفي وحدها لتفسير ثراء الدلالة القرآنية، إذ أظهرت أمثلة القرآن أن السياق الصرفي يضفي على العلاقات الدلالية عمقاً ومرونة يصعب حصرها في قوالب جامدة.

كما اتضح أن الاشتقاق، وحروف الزيادة، والانزياحات الصرفية، تلعب دوراً محورياً في توليد معانٍ جديدة وتكثيف الدلالة، وأن كثيراً من العلاقات الدلالية في القرآن تتجاوز الثنائية البسيطة إلى شبكات معقدة تربط بين أجزاء النص في مستويات متعددة. وأكدت الدراسة ضرورة تجاوز المناهج التقليدية نحو مقاربات تحليلية تجمع بين التراث العربي واللسانيات الحديثة، مع التركيز على السياق النصي والتكامل بين المستويات الصوتية والصرفية والدلالية.

في الختام، فإن فهم العلاقات الدلالية في ضوء التفاعل مع علم الصرف يفتح الباب أمام قراءة جديدة للنص القرآني، ويعزز قدرة الباحثين على استكشاف أسرار الإعجاز البياني في العربية.

المحاضرة الرابعة

العلاقات الدّلالية2

توطئة

تتسم العلاقات الدلالية بأهمية مركزية في علوم اللغة والنقد، إذ تمثل البنية العميقة التي تربط بين المفردات والتراكيب والمعاني في النصوص العربية، وتكشف عن أسرار التماسك النصي والإبداع البلاغي. ومع تطور الدراسات اللغوية وظهور التحليل الحاسوبي، أصبح من الضروري إعادة النظر في التصنيفات التقليدية للعلاقات الدلالية، واستكشاف حدودها المنهجية وإشكالياتها النقدية، إلى جانب دراسة الإمكانات الجديدة التي تتيحها التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي في تحليل اللغة العربية، خصوصًا في النصوص القرآنية ذات البنية المعقدة والدلالات المتعددة. تهدف هذه المحاضرة إلى تقديم رؤية معمقة حول الإشكاليات النقدية والمنهجية في دراسة العلاقات الدلالية، مع التركيز على تطبيقاتها الحاسوبية وآفاقها المستقبلية في ظل التطورات التكنولوجية.

المبحث الأول: الإشكاليات النقدية والحدود المنهجية في العلاقات الدلالية

1. إشكاليات التصنيفات التقليدية للعلاقات الدلالية

تاريخياً، اعتمدت الدراسات العربية الكلاسيكية على تصنيفات ثابتة للعلاقات الدلالية مثل الترادف والتضاد والتكامل، مستندة في ذلك إلى المعاجم الكبرى والشروح النقدية. غير أن هذه التصنيفات واجهت عدة إشكاليات جوهرية مع تطور النظرية الدلالية والنقد الأدبي.

أ. إشكالية الترادف والتضاد

يُنظر إلى الترادف في التراث العربي بوصفه ظاهرة لغوية واسعة، لكن التحليل النقدي الحديث يكشف أن كثيراً من الألفاظ التي عُدّت مترادفة تحمل فروقاً دقيقة في السياق، خاصة في النص القرآني. فعلى سبيل المثال، كلمة "العين" في قوله تعالى: {عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا} تختلف دلالتها عن "الينبوع"، إذ ترتبط هنا بسياق النعيم الأخروي، بينما "الينبوع" يحمل إيحاءات مائية دنيوية أكثر (منقور عبد الجليل، 2017، ص 190).

هذا يكشف قصور التصنيف القاموسي الذي يفصل الكلمة عن سياقها، ويؤكد ضرورة إعادة النظر في مفهوم الترادف ذاته.

أما التضاد، فقد عولج غالباً كعلاقة ثنائية جامدة (نور/ظلام، حياة/موت)، بينما تظهر النصوص القرآنية أن التضاد قد يكون مركباً أو متدرجاً أو حتى متداخلاً مع علاقات أخرى.

مثال ذلك، الجمع بين "الظلم" و"النسيان" في قوله تعالى: {وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ}، حيث يخلق التنافر الدلالي بعداً نفسياً يعزز فكرة الندم (الزمخشري، 2023، ص 55).

التصنيف التقليدي يغفل عن ديناميكية التضاد في السياق، ويحد من إمكانيات التحليل الدلالي. فإعادة قراءة الترادف والتضاد في ضوء السياق النصي ضرورة منهجية، فالمعنى لا ينشأ إلا في تفاعل الكلمة مع محيطها النصي والثقافي.

2. حدود المنهج المعجمي في دراسة العلاقات الدلالية

اعتمدت المعاجم العربية على الجمع والتصنيف، لكنها غالباً ما أهملت السياق، ففسرت الألفاظ بمعزل عن استعمالاتها الحية. يبرز ذلك في تفسير كلمة "البطون" في قوله تعالى: {نُسقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ}، حيث تُفسَّر عادة حرفياً، بينما تحمل في السياق القرآني دلالة شبكية تربط بين تكوين الحيوان والإنسان (آل الشيخ، 2023، ص 335).

المنهج المعجمي التقليدي يقدّم سرداً محايداً للدلالات، لكنه لا يكشف عن ديناميكية المعنى، ولا عن تطور الدلالة عبر الزمن أو اختلافها بحسب السياق (فايز الداية، 2017، ص 285–287).

لا يمكن الاكتفاء بالمعجم لفهم العلاقات الدلالية، بل لا بد من تحليل النصوص في سياقها التاريخي والثقافي والمعرفي.

3. إشكالية الحقول الدلالية ونظرية المجال

شهدت الدراسات الحديثة بروز نظرية الحقول الدلالية، التي تنظّم الألفاظ ذات الصلة في مجموعات مترابطة، كما في حقل "الصفات" أو "ألفاظ الطبيعة" في القرآن الكريم (فرحي جميلة، 2024، ص 250).

تُظهر هذه النظرية أن العلاقات بين الألفاظ ليست عشوائية، بل تخضع لترابط داخلي دقيق، وأن السياق القرآني يمنح المفردات دلالات جديدة تتجاوز معانيها القاموسية (شبكة الألوكة، 2022).

رغم أهمية الحقول الدلالية في ضبط الكم الهائل من المفردات، إلا أن تطبيقها على العربية يواجه صعوبات، أبرزها تشابك الحقول وتداخلها، وعدم وجود حدود فاصلة بين المجالات الدلالية، خاصة في النصوص الأدبية والقرآنية.

نظرية الحقول الدلالية أداة مهمة لكنها ليست حلاً نهائياً، بل تحتاج إلى تطوير مستمر يأخذ في الاعتبار خصوصية العربية وسياقاتها النصية.

4. إشكالية السياق وأثره في توجيه الدلالة

السياق هو العامل الحاسم في توجيه المعنى، وقد أدرك النقاد واللغويون العرب قديماً وحديثاً أن الكلمة لا تُفهم إلا في سياقها. فمثلاً، كلمة "الصوم" في قوله تعالى: {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا} لا تعني الإمساك عن الطعام، بل عن الكلام، وهو ما لا تكشفه المعاجم وحدها (حسن، 2010، ص 89).

وقد أشار الشيخ حيدر حب الله إلى أن فهم النص القرآني لا يكون شاملاً إلا بالنظر إلى السياق القرآني كوحدة كبرى، حيث يفسر بعضه بعضاً (حب الله، 2015، ج5، ص 129).

إغفال السياق يؤدي إلى أخطاء في الفهم والتأويل، ويُنتج قراءات مبتورة للنصوص. كما أن بعض الدراسات الحديثة، رغم وعيها بأهمية السياق، لا تزال تعالج العلاقات الدلالية بمعزل عن السياق الثقافي والاجتماعي. فالسياق هو مفتاح الدلالة، ولا معنى لأي علاقة دلالية خارجه.

5. الانزياح الدلالي والصرفي: بين البلاغة والمنهج

الانزياح الصرفي والدلالي ظاهرة بارزة في القرآن الكريم، إذ يؤدي العدول من صيغة إلى أخرى إلى نقل المعنى من مستوى إلى آخر، كما في استخدام "مُسْتَهْزِئُونَ" بدلاً من "هازئون"، حيث تضيف صيغة الاستفعال دلالة التكلف والمبالغة (الزركشي، 1994، ج2، ص 307). كما أن الاشتقاق يثري اللغة ويزيد من إمكانيات التعبير الدلالي، ويمنح الكلمات طاقة تعبيرية متجددة (ملاذ عبد الرحمن عبيد، 2024).

كثير من التحليلات تغفل عن أن الانزياح ليس مجرد تغيير شكلي بل هو استراتيجية بلاغية واعية، وأن الصيغ الصرفية ليست متعادلة دلالياً بل تحمل فروقاً دقيقة تُسهم في بناء المعنى الكلي للنص.

الانزياح الصرفي والدلالي من أسرار الإعجاز البياني للقرآن، ويجب تحليله بمنهج تكاملي يجمع بين البلاغة والدلالة والصرف.

6. حدود المناهج الحديثة: الكمّية والإحصائية

مع تطور الدراسات اللسانية، ظهرت مناهج تعتمد على الإحصاء وحصر التكرارات الجذرية في النصوص، لكنها كثيراً ما تغفل عن التحليل السياقي أو تكتفي بالكم دون الكيف.

فمثلاً، تكرار جذر "ش ر ع" في القرآن لا يعكس وحده ثراء الدلالة التشريعية والأخلاقية الكامنة في السياق (آل الشيخ، 2023، ص 340).

المنهج الكمي مفيد في رصد الظواهر العامة، لكنه قاصر عن كشف أعماق العلاقات الدلالية، خاصة في النصوص الأدبية والدينية التي تعتمد على التلميح والتضمين والانزياح.

التحليل الإحصائي يجب أن يكون خطوة أولى تليها قراءة نوعية معمقة للسياق والدلالة.

7. العلاقة بين النحو والدلالة: إشكاليات التركيب

تشير الدراسات الحديثة إلى أن المعنى النحوي جزء لا يتجزأ من الدلالة الكلية، وأن العلاقات النحوية تساهم في بناء العلاقات الدلالية بين المفردات والتراكيب (كريمة غنيمي، 2019، ص 40–45). مثلاً، تقديم المفعول به أو تأخيره في الجملة العربية قد يغيّر مركزية الدلالة أو يبرز علاقة دلالية جديدة.

كثير من التحليلات تفصل بين النحو والدلالة، بينما الواقع النصي يُظهر تداخلهما البنيوي، خاصة في النص القرآني الذي يوظف التركيب لخدمة المعنى. فالتحليل الدلالي لا يكتمل دون تحليل نحوي دقيق، فالنحو والدلالة وجهان لعملة واحدة في العربية.

8. إشكالية تعدد الدلالة والاشتراك اللفظي

تواجه العربية ظاهرة الاشتراك اللفظي (كلمة واحدة تحمل معاني متعددة)، ما يخلق تحدياً أمام التصنيف الدلالي. فمثلاً، كلمة "العين" تعني العضو البشري، والماء، والجاسوس... إلخ، والسياق وحده هو الذي يحدد المعنى المقصود (سعيد جبر، 2012، ص 686).

الاشتراك اللفظي يثري اللغة لكنه يصعّب مهمة التصنيف القاموسي والتحليل الدلالي، ويجعل الاعتماد على السياق ضرورة مطلقة. فتعدد الدلالة ليس عيباً في اللغة بل مصدر غناها، ويتطلب من المحلل الدلالي مرونة ووعياً سياقياً عالياً.

9. أثر العلاقات الدلالية في بناء النظم العربي

العلاقات الدلالية ليست مجرد ظواهر لغوية، بل هي أدوات لبناء النظم التركيبي والمعنوي للنص العربي. وقد أظهرت الدراسات أن العلاقات الدلالية (كالترادف، التضاد، الاشتراك) تسهم في تقعيد التراكيب النحوية، وتمنح النص العربي مرونة وغنى في التعبير (سعيد جبر، 2012، ص 690).

التراث النحوي العربي ركّز على التقعيد دون تحليل كافٍ للعلاقات الدلالية، بينما تحتاج الدراسات الحديثة إلى دمج التحليلين معاً. إن العلاقات الدلالية هي روح النظم العربي، ولا غنى عنها لفهم أسرار التركيب والمعنى.

2. الحدود المنهجية في التحليل الدلالي

أ. الاعتماد على المعاجم التقليدية:

- تُعاني المعاجم من جمود في تفسير الدلالات السياقية، فكلمة "البطون" في {نُسقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ} (النحل:66) تُفسَّر حرفيًا، بينما تحمل دلالة شبكية تربط بين تكوين الحيوان والإنسان (آل الشيخ، 2023، ص 335).
- يفتقر التراث إلى معاجم حاسوبية متخصصة، مما يعيق تحليل النصوص آليًا، كما في صعوبة معالجة الانزياحات الصرفية مثل "مُسْتَهْزِئُونَ" (البقرة:14) التي تجمع بين الخداع والمبالغة (الزركشي، 1994، ج2، ص 307).

ب. الفصل بين المستويات اللغوية:

- يُعالج النحو والصرف بمعزل عن الدلالة، رغم تداخلها. في آية {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} (الفلق:1)، يعزز وزن "فَعَل" في "الفلق" دلالة الانشقاق المفاجئ، وهو ما يغفله التحليل التقليدي (منقور عبد الجليل، 2017، ص 183).
- تُظهر دراسة (ياقوت، 2015، ص 156) أن 85% من الجذور المتكررة في القرآن تخضع لأنماط اشتقاقية محددة تُشكِّل دلالات مترابطة، لكن المنهجية التقليدية تفشل في ربطها.

ج. إشكالية التوثيق التاريخي:

- تُصنَّف بعض الصيغ القرآنية كـ"نادرة" رغم وجودها في الشعر الجاهلي، كما في "اسْتَهْوَتْهُم" التي وردت في قصائد امرئ القيس، لكن الدراسات المعاصرة تتجاهل هذا الارتباط (الشنقيطي، 2007، ص 160).

3. الإشكالات في المناهج الحديثة

أ. المحدودية الكمّية:

- تعتمد بعض الدراسات على الإحصاءات، مثل حصر تكرار الجذر "ش ر ع" 5 مرات في القرآن، دون تحليل سياقاته المتعددة التي تتجاوز العدد إلى الدلالات الأخلاقية والتشريعية (آل الشيخ، 2023، ص 340).

تُظهر أبحاث الذكاء الاصطناعي أن الخوارزميات تفشل في تمييز الفروق الدقيقة بين "الخوف" و"الرهبة" في القرآن بسبب اعتمادها على البيانات المهيكلة (ينظر مقال: علم الدلالة مقاربة وتطبيق، على موقع الميادين، الرابط: https://madjalate-com.almayadine/).

ب. إغفال البُعد الثقافي:

- تُخضع بعض المناهج الحديثة النصوص لسلطة المؤسسات الثقافية، كما في دراسات النقد الثقافي التي تُفسر "العدول" في القرآن وفقًا لمرجعيات غربية، متجاهلة سياقه البلاغي (صلاح فضل، 2002، ص 45).
- تُهمل الدراسات الغربية دور "السياق الحالي" في تشكيل الدلالة، مثل تفسير "التجارة" في {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا} (الجمعة:11) بمعناها الاقتصادي دون ربطه بالبعد الأخلاقي (عضيمة، 1980، ص 88).

ج. التحديات التقنية في معالجة اللغة العربية:

يعاني التحليل الحاسوبي من صعوبة تمثيل الانزياحات الدلالية، مثل الفرق بين "الصوم" كإمساك عن الكلام أو الطعام، بسبب نقص البيانات المهيكلة (ينظر مقال: علم الدلالة مقاربة وتطبيق، على موقع الميادين، الرابط: https://madjalate-com.almayadine/).

- تفشل الشبكات العصبية في تفسير العلاقات المركبة، كالتضاد في {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} (الأنعام:95)، الذي يجمع بين الخلق والإماتة في شبكة دلالية واحدة (منقور عبد الجليل، 2017، ص 190).

4. نحو منهجية تكاملية

الجمع بين التراث والحداثة: تحتاج الدراسات الدلالية إلى تكامل بين تحليل السياق التراثي (كمنهج الزمخشري في الكشاف) والأدوات الرقمية (كالذكاء الاصطناعي التوليدي)، لفك شفرات النص القرآني (ينظر مقال: ماهي التحديات التي تواجه علم الدلالة، على موقع إجابة، الرابط: https://www.ejaba.com/question/).

- **ربط المستويات اللغوية:** يجب دمج التحليل الصوتي مع الصرفي والدلالي، كما في آية {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا} (البقرة:257)، حيث يتشكل الإيقاع الصوتي لدعم الدلالة (ياقوت، 2015، ص 120).

بناء أنطولوجيات متخصصة: تطوير قواعد بيانات دلالية تربط مصطلحات القرآن بالسياقات التاريخية والثقافية، لتعزيز البحث العلمي الرقمي (ينظر مقال علم الدلالة، عبر الرابط: https://drive.uqu.edu.sa/_/kaakwaa/files/مؤلفاتي/intsab/).

يتضح من هذا العرض أن العلاقات الدلالية في العربية، وخاصة في النص القرآني، منظومة معقدة تتداخل فيها عوامل السياق، والصرف، والنحو، والثقافة، والتاريخ. التصنيفات التقليدية، رغم أهميتها، لم تعد كافية وحدها لفهم هذا التعقيد، بل بات من الضروري اعتماد مناهج تكاملية تجمع بين التحليل السياقي، والدراسة المعجمية، والنظرية الحقلية، والتحليل البلاغي، مع الاستفادة من الأدوات الرقمية الحديثة دون الوقوع في فخ الإحصاء الجاف أو العزل عن السياق. فهم العلاقات الدلالية هو مفتاح فهم النص العربي في أعمق مستوياته، وهو ما يجب أن يكون هدف الباحثين في الدراسات اللغوية والنقدية المعاصرة.

المبحث الثاني: تطبيقات العلاقات الدلالية الحاسوبية وآفاقها المستقبلية في التطورات التكنولوجية.

1. أثر البنية الصرفية في الدلالة القرآنية وتحديات التحليل الآلي

تُعد البنية الصرفية من أهم مفاتيح فهم العلاقات الدلالية في القرآن الكريم، فهي ليست مجرد نظام شكلي بل أداة دقيقة لتوليد المعاني وتوسيعها. حيث يؤكد الباحثون أن دراسة البنية الصرفية هي أساس لا غنى عنه لفهم الظاهرة اللغوية، خاصة في النص القرآني الذي تتكثف فيه الدلالة عبر الصيغ وتنوعاتها (أبو بكر الصديق، 2022، ص 3761).

فالتحليل الدلالي الآلي يواجه تحديات كبيرة في التعامل مع هذه البنية، إذ أن كثيرًا من الأدوات الحاسوبية تعتمد على أنماط ثابتة، بينما البنية الصرفية العربية غنية بالتحولات والانزياحات التي قد تغيّر المعنى جذريًا.

البرمجيات المتوفرة غالبًا ما تكتفي بتحليل سطحي أو إحصائي، ولا تلتقط الفروق الدقيقة التي تبرزها الصيغ الصرفية، مما يؤدي إلى فقدان كثير من المعاني العميقة، خاصة في النصوص القرآنية التي تتطلب حسًا لغويًا عاليًا (أبو بكر الصديق، 2022، ص 3769).

لا يمكن تحقيق معالجة حاسوبية دقيقة للعلاقات الدلالية دون بناء نماذج صرفية قادرة على تمثيل مرونة اللغة العربية وتنوعها البنائي.

2. الاشتقاق ودوره في إثراء الدلالة وتحديات النمذجة الحاسوبية

الاشتقاق هو سر مرونة العربية وثراء معجمها، حيث تتيح الجذور توليد ألفاظ جديدة بمعانٍ متنوعة عبر الأبنية المختلفة. وقد أثبتت الدراسات أن الاشتقاق يرفد العربية والقرآن الكريم بفيض من المعاني الكامنة في كم محدود من الأبنية، مما يجعل تحليل العلاقات الدلالية تحديًا حقيقيًا أمام البرمجيات الحاسوبية (نعمة، 2012، ص 15).

النماذج الحاسوبية الحالية غالبًا ما تعجز عن تتبع العلاقات الاشتقاقية الدقيقة، فتتعامل مع الكلمات ككيانات منفصلة دون ربطها بالجذر أو الصيغ الاشتقاقية، ما يؤدي إلى فقدان البعد الدلالي المتجدد الذي تمنحه الصيغ المختلفة (عبيد، 2024).

أي تقدم في الذكاء الاصطناعي العربي يجب أن ينطلق من نمذجة دقيقة للاشتقاق، وربط الكلمات بجذورها وصيغها لتمثيل العلاقات الدلالية تمثيلاً حقيقيًا.

3. حروف الزيادة ودلالاتها: بين الصعوبة التقنية والثراء الدلالي

تُعد حروف الزيادة من الأدوات الجوهرية في توليد المعنى في العربية، إذ تضيف إلى الجذر معاني جديدة مثل التكثير والمبالغة والتحول. فمثلاً، التضعيف في "قطّعت" يدل على التكرار، وحروف مثل السين والتاء في "استغفر" تضيف معنى الطلب أو السعي (موقع موضوع، 2021). هذه الظاهرة تطرح تحديات كبيرة أمام البرمجيات اللغوية، إذ يتطلب فهمها قدرة على تحليل البنية الصرفية وربطها بالسياق الدلالي.

غالبية أدوات التحليل الحاسوبي تتعامل مع الكلمات على مستوى الجذر أو الكلمة المفردة، ولا تملك خوارزميات متقدمة لفهم أثر الزيادة على المعنى، مما يؤدي إلى نتائج تحليلية ناقصة أو مضللة (موقع موضوع، 2021).

تطوير أدوات قادرة على فهم معاني حروف الزيادة شرط أساسي لأي نظام حاسوبي يطمح لمعالجة النصوص العربية بدقة دلالية.

4. الانزياح الصرفي والدلالي: الإبداع القرآني والتحدي البرمجي

الانزياح الصرفي، أي العدول عن الصيغ القياسية إلى صيغ مزيدة أو مختلفة، هو من أسرار الإبداع القرآني. إذ يمنح النص طاقة تعبيرية ودلالية يصعب تمثيلها آليًا، كما في استبدال مصدر بمصدر آخر أو صيغة بفعل آخر لتحقيق غرض بلاغي أو دلالي (دراسة الانزياح الصرفي، 2022).

البرمجيات الحالية لا تلتقط غالبًا هذه الانزياحات، بل تعتبرها شذوذًا أو خطأً في البيانات، ما يؤدي إلى فقدان جزء كبير من المعنى البلاغي والعمق الدلالي للنصوص (دراسة الانزياح الصرفي، 2022).

النماذج الحاسوبية المستقبلية يجب أن تتعلم من البلاغة القرآنية، وتُدرَّب على رصد وتحليل الانزياحات الصرفية والدلالية بوصفها ظواهر أسلوبية مقصودة وليست استثناءات.

5. التضاد والترادف: الإشكاليات الدلالية في الذكاء الاصطناعي

التضاد والترادف من العلاقات الدلالية المركزية في العربية، لكنهما يطرحان إشكاليات كبيرة أمام الذكاء الاصطناعي. فمثلاً، كلمة "خلف" قد تدل على الولد الصالح أو الطالح حسب السياق، ولا يمكن للنظام الحاسوبي أن يحدد المعنى الصحيح دون فهم السياق النصي (المنجد، 2012).

الأنظمة الحاسوبية التي تعتمد على القواميس أو التكرار الإحصائي تفشل غالبًا في تمييز هذه الفروق الدقيقة، ما يؤدي إلى أخطاء في الترجمة أو الفهم الآلي للنصوص (المنجد، 2012).

لا غنى عن تطوير خوارزميات تعتمد على تحليل السياق الفعلي للنصوص، وليس فقط على المعاجم أو قواعد البيانات الجامدة.

6. التناظر الدلالي في القرآن: إمكانيات التمثيل الحاسوبي

يُعد التناظر من الظواهر البارزة في البناء القرآني، حيث تتناظر السور والآيات في بنية محكمة، وهو ما يمثل تحديًا وفرصة في آن واحد للذكاء الاصطناعي. إذ يمكن استثمار هذا التناظر في بناء شبكات دلالية تساعد على فهم النصوص وربطها ببعضها (دراسة التناظر، 2019).

رغم وجود محاولات لتمثيل التناظر الحاسوبي، إلا أن النماذج الحالية لا تزال عاجزة عن تمثيل العمق البلاغي لهذا النظام، إذ تركز على التشابه السطحي دون النفاذ إلى العلاقات المعنوية العميقة (دراسة التناظر، 2019).

تمثيل التناظر الدلالي يتطلب نماذج معرفية متقدمة تتجاوز التحليل الشكلي إلى فهم البنية النصية الكلية.

7. تطبيقات الذكاء الاصطناعي: الشبكات الدلالية والتضمينات العددية

شهدت السنوات الأخيرة تطورًا في استخدام الشبكات الدلالية (Semantic Networks) والتضمينات العددية (Embeddings) لتمثيل العلاقات بين الكلمات والمعاني. هذه الأدوات حسّنت من أداء محركات البحث والترجمة الآلية، لكنها لا تزال تواجه صعوبات في معالجة الدلالات العميقة والانزياحات الأسلوبية في العربية (عبيد، 2024).

هذه النماذج غالبًا ما تتعلم من بيانات ضخمة لكنها غير مشروطة بالسياق العربي أو القرآني، ما يؤدي إلى تمثيل ناقص أو مشوّه للعلاقات الدلالية الخاصة باللغة العربية.

لا بد من بناء مجموعات بيانات عربية نوعية وتدريب النماذج على النصوص القرآنية والأدبية لتطوير تمثيل دلالي أكثر دقة وثراء.

8. تحديات اللبس الدلالي والاشتراك اللفظي في البرمجيات اللغوية

اللبس الدلالي والاشتراك اللفظي من المشكلات الجوهرية التي تواجه معالجة اللغة العربية آليًا، إذ قد تحمل الكلمة الواحدة معاني متعددة لا يحددها إلا السياق، كما هو الحال في كثير من ألفاظ القرآن (المنجد، 2012).

البرمجيات الحالية إما أن تختار معنى واحدًا بشكل عشوائي أو تعرض كل المعاني الممكنة، ما يربك المستخدم ويضعف من فعالية التحليل أو الترجمة. فالحل يكمن في تطوير أنظمة قادرة على تحليل السياق بدقة عالية، وربط الكلمات بالشبكات الدلالية والسياقية المناسبة.

9. آفاق المستقبل: الأنطولوجيا والمعاجم الرقمية الذكية

الأنطولوجيا (Ontology) تمثل مستقبل العلاقات الدلالية الحاسوبية، حيث تبنى قواعد بيانات معرفية تربط الكلمات بمعانيها وسياقاتها الثقافية والتاريخية. هذا التوجه يفتح الباب أمام تطوير تطبيقات تعليمية، بحثية، ودينية قادرة على فهم النص العربي بعمق (عبيد، 2024).

إنشاء أنطولوجيا عربية متكاملة يتطلب جهودًا ضخمة في جمع البيانات، وتصنيفها، وربطها بالسياقات الصحيحة، وهو ما لم يتحقق بعد بالشكل الكافي في العالم العربي. فالمستقبل للأنطولوجيا والمعاجم الذكية، ويجب أن تتضافر جهود الجامعات والمؤسسات البحثية لتحقيق هذا الهدف الطموح.

تُظهر دراسة التطبيقات الحاسوبية للعلاقات الدلالية في العربية والقرآن الكريم أن الطريق لا يزال طويلاً أمام الذكاء الاصطناعي العربي ليبلغ مستوى التحليل البشري العميق.

فثراء الصيغ الصرفية، ومرونة الاشتقاق، ودقة حروف الزيادة، والانزياحات الدلالية، كلها تمثل تحديات كبرى أمام البرمجيات اللغوية.

ومع ذلك، فإن تطور الشبكات الدلالية والأنطولوجيا يفتح آفاقًا واسعة أمام الأبحاث المستقبلية، شريطة أن تُبنى النماذج على فهم عميق للغة العربية وسياقها القرآني والثقافي، وأن تجمع بين التحليل الكمي والنوعي، وبين الذكاء الاصطناعي والحس اللغوي البشري.

الخلاصة والنتائج

أظهرت المحاضرة أن العلاقات الدلالية في العربية ليست مجرد تصنيفات جامدة، بل هي منظومة ديناميكية تتأثر بالسياق، وتتشابك فيها عناصر الصرف والنحو والدلالة والثقافة. كشفت الدراسة أن التصنيفات التقليدية، مثل الترادف والتضاد، بحاجة إلى مراجعة عميقة تأخذ في الاعتبار السياق النصي والثقافي، وأن الاعتماد على المعاجم وحدها لا يكفي لفهم المعنى الحقيقي للكلمة أو العبارة.

كما تبين أن التحديات التقنية في معالجة اللغة العربية آليًا لا تنفصل عن تعقيد العلاقات الدلالية، إذ تواجه البرمجيات صعوبات في تحليل البنية الصرفية، وفهم الاشتقاق، والتعامل مع الانزياحات الدلالية واللبس اللفظي. ومع ذلك، فإن التطورات في الذكاء الاصطناعي، مثل الشبكات الدلالية والأنطولوجيا، تفتح آفاقًا واعدة أمام البحث اللغوي، شريطة أن تُبنى على فهم عميق للغة وسياقاتها.

في الختام، فإن مستقبل الدراسات الدلالية في العربية مرهون بتكامل المناهج النقدية التقليدية مع الأدوات التكنولوجية الحديثة، وبقدرة الباحثين على الجمع بين التحليل الكمي والنوعي، وبين الحس اللغوي البشري والذكاء الاصطناعي، لتحقيق فهم أعمق وأدق للنصوص العربية عامة، والقرآنية خاصة.

المحاضرة الخامسة

النّظرية السلوكية

توطئة المحاضرة

تُعد النظرية السلوكية في علم الدلالة من أبرز الاتجاهات التي أثرت في دراسة اللغة وتحليل المعنى خلال القرن العشرين. فقد انطلقت من مبدأ أن اللغة سلوك يمكن ملاحظته وقياسه من خلال المثيرات والاستجابات، متجاوزة بذلك التفسيرات العقلية أو الذهنية للمعنى. وقدمت هذه النظرية إطارًا منهجيًا صارمًا لتحليل الظواهر اللغوية، وفرضت على الدرس اللغوي طابعًا تجريبيًا وموضوعيًا. ومع تطور الدراسات اللسانية، ظهرت إشكاليات وتحديات أمام هذا الاتجاه، خاصة مع بروز قضايا السياق، والتعدد الدلالي، والانزياحات البلاغية، ما دفع الباحثين إلى إعادة النظر في حدود السلوكية وإمكانات التكامل بينها وبين مناهج أخرى. تهدف هذه المحاضرة إلى استكشاف الأسس النظرية للنظرية السلوكية في علم الدلالة، وتحليل أثرها في الدراسات التطبيقية المعاصرة، مع نقد موضوعي لتحدياتها وحدودها.

المبحث الأول: الأسس النظرية للنظرية السلوكية في علم الدلالة

1. المدخل التاريخي والفلسفي

تعود جذور النظرية السلوكية في علم الدلالة إلى المدرسة السلوكية في علم النفس، التي أسسها **جون واطسن** (1878–1958)، وطورها **ب.ف. سكينر** (1904–1990). انتقلت هذه الأفكار إلى اللسانيات عبر **ليونارد بلومفيلد** (1887–1949)، الذي رأى أن اللغة سلوكٌ يُمكن ملاحظته وتحليله عبر "المثير" (Stimulus) و"الاستجابة" (Response)، مُستبعدًا أي تفسير يعتمد على العقل أو الصور الذهنية (منقور عبد الجليل، 2017، ص86).

السياق العلمي: ظهرت السلوكية في أوائل القرن العشرين كرد فعل على المناهج العقلانية الاستبطانية، مُؤكدةً أن العلم الحقيقي يجب أن يقتصر على الظواهر القابلة للقياس. في اللسانيات، تجلى هذا برفض بلومفيلد تحليل المعنى عبر الأفكار المجردة، والتركيز على المواقف الكلامية الملموسة (حنيفي بن ناصر ومختار لزعر، 2011، ص57).

نقد التأسيس التاريخي: رغم نجاح السلوكية في فرض منهجية موضوعية، إلا أنها تجاهلت الثراء الدلالي للغة، خاصة في النصوص الدينية أو الأدبية التي تعتمد على الرموز والانزياحات (منقور عبد الجليل، 2017، ص87).

2. المفاهيم المركزية: المثير والاستجابة

عرّف بلومفيلد المعنى بأنه العلاقة بين الموقف الذي يُنطق فيه الكلام والاستجابة التي يُحدثها. مثالُه الشهير:

- **المثير:** جوع جيل ورؤيتها تفاحة على الشجرة.
- **الكلام:** طلبها من جاك قطفها.
- **الاستجابة:** قطف جاك للتفاحة (بلومفيلد، 1933، ص24).

تحليل المفهوم:

- يُقلل هذا النموذج اللغة إلى سلسلة ميكانيكية، مما يجعله فعّالًا في تحليل الجمل البسيطة (التهديد، الوعد)، لكنه يعجز عن تفسير الاستعارات أو الأساليب البلاغية (أحمد مختار عمر، 1998، ص65).
- تجاهل **التعدد الدلالي:** كلمة "عين" في العربية قد تعني عضو البصر، أو ينبوع الماء، أو الجاسوس، حسب السياق، وهو ما لا يُفسره نموذج المثير والاستجابة (سعيد جبر، 2012، ص686).

يرى تشومسكي أن هذا النموذج "سطحيةٌ" تهمل البنى العميقة للغة والقدرة البشرية الفطرية على توليد جمل جديدة (تشومسكي، 1957).

3. التطبيقات العملية: من التعليم إلى التحليل اللغوي

طبقت السلوكية في:

1. **تعليم اللغات:** عبر التكرار والتعزيز (مكافأة المتعلم عند الإجابة الصحيحة).
2. **تحليل الخطاب:** كدراسة علاقة الأوامر بردود الأفعال في النصوص القانونية (عبد الحكيم، 2017، ص5).

إشكالية التطبيق:

- فشلت في تفسير الظواهر اللغوية المركبة، مثل الانزياح في قول الشاعر: "أفٍّ لكم"، حيث تحمل "أفٍّ" دلالةً عاطفيةً لا تُختزل إلى مثيرٍ مادي (الزركشي، 1994، ج2، ص307).

- في العربية، واجهت صعوبةً في تحليل الصيغ الاشتقاقية، مثل "استغفر" (زيادة السين والتاء لدلالة الطلب)، والتي تتطلب فهمًا للسياق الثقافي والديني (حسن، 2010، ص89).

4. التطورات اللاحقة: من بلومفيلد إلى موريس

حاول **تشارلز موريس** (1901–1979) تطوير النظرية بإدخال مفهوم "الميل أو الرغبة"، فاعتبر أن الاستجابة قد لا تكون فعليةً بل مجرد نية، كقولك "سأساعدك" دون تنفيذ (منقور عبد الجليل، 2017، ص87).

رغم ذلك، بقي النموذج عاجزًا عن تفسير الانزياحات، مثل استخدام "الصوم" للدلالة على الصمت في قوله تعالى: {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا} (مريم:26)، حيث يتطلب السياق فهمًا ثقافيًا لا يلتقطه النموذج السلوكي (الشنقيطي، 2007، ص160).

5. الإشكاليات المنهجية

1. **الاختزال المفرط:** تحويل اللغة إلى سلسلة أفعالٍ ماديةٍ يُهمل دور المخيلة والإبداع.
2. **السياق الثقافي:** تجاهل تأثير الثقافة في تشكيل المعنى، كالفرق بين دلالة "الكلب" في العربية (ذم) والإنجليزية (مدح في بعض السياقات).
3. **اللبس الدلالي:** عجزها عن حلّ إشكالات الاشتراك اللفظي، مثل كلمة "قرم" التي تعني "الشجاع" أو "الجائع" حسب اللهجة (ياقوت، 2015، ص112).

أكدت الدراسات الحديثة أن 40% من الكلمات القرآنية تحمل دلالاتٍ سياقيةً تتجاوز المعنى الحرفي، مما يستدعي مناهجَ تكامليةً تجمع بين السلوكية والمناهج المعرفية (آل الشيخ، 2023، ص335).

6. النقد الجذري: تشومسكي ونهاية الهيمنة السلوكية

هاجم تشومسكي السلوكية في كتابه "البنى النحوية" (1957)، مؤكدًا أن:

- اللغة ليست سلوكًا مكتسبًا بل **قدرة فطرية**.
- النموذج السلوكي يعجز عن تفسير قدرة البشر على فهم وإنتاج جملٍ لم يسمعوها من قبل.

أمثلة داعمة:

- الطفل يُنتج جملاً مثل "أكلت التفاحة" دون تدريب مسبق، مما يفند فكرة التعزيز والتكرار (تشومسكي، 1965).

أدت حجج تشومسكي إلى تراجع السلوكية وصعود النظريات التوليدية، لكن بعض تطبيقاتها بقيت مفيدة في تحليل النصوص القانونية أو الإعلانات (صلاح فضل، 2002، ص45).

قدمت النظرية السلوكية إطارًا موضوعيًا لتحليل السلوك اللغوي، لكن اختزالها المعنى في المثير والاستجابة جعلها عاجزةً عن تفسير تعقيدات اللغة البشرية. رغم ذلك، لا تزال تطبيقاتها مفيدة في:

- تحليل الخطاب السياسي أو الإعلامي.
- تصميم أنظمة الذكاء الاصطناعي التي تعتمد على نمذجة السلوك الظاهري (مثل chatbots).

لكن الفهم الشامل للدلالة يتطلب **دمج المناهج**، كالربط بين التحليل السلوكي والدراسات السياقية والمعرفية، خاصة في اللغة العربية التي تتسم بثراء دلالي وانزياحات بلاغية.

المبحث الثاني: أثر النظرية السلوكية في الدراسات الدلالية والتطبيقات المعاصرة

1. تأثير النظرية السلوكية على مناهج البحث الدلالي

سيطر الفكر السلوكي على الدراسات اللغوية في النصف الأول من القرن العشرين، حيث طبّق **بلومفيلد** مبدأي **المثير** و**الاستجابة** على اللغة، معتبرًا إياها سلوكًا قابلاً للرصد دون الحاجة إلى تحليل العمليات العقلية. ففي مثالِه الشهير عن جيل وجاك:

- **المثير**: رؤية جيل للتفاحة.
- **الكلام**: طلبها من جاك قطفها.
- **الاستجابة**: قطف جاك للتفاحة (بلومفيلد، 1933، ص24). هذا النموذج نجح في تحليل الجمل البسيطة (كالأوامر) لكنه فشل في تفسير الانزياحات الدلالية، مثل استخدام "أفٍّ" للدلالة على الرفض في قوله تعالى: {فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ} (الإسراء:23)، حيث لا يرتبط الرفض بمثير مادي مباشر (الزركشي، 1994، ج2، ص307).

نقد المنهج:

- تجاهل **التفاعل الثقافي**: كالفرق بين دلالة "الكلب" في السياق العربي (ذم) والغربي (مدح في بعض الحالات).

- إغفال **القدرة الإبداعية** للغة: كتوليد جمل جديدة لم تُسمع من قبل، مما نقضه تشومسكي لاحقًا (تشومسكي، 1957).

رغم مساهمة السلوكية في فرض الموضوعية، إلا أن اختزالها اللغة في السلوك الظاهر جعلها عاجزة عن تفسير ثراء الدلالة في النصوص الأدبية والدينية.

2. الدمج بين السلوكية والمدارس الأخرى

حاول **تشارلز موريس** (1901–1979) تطوير السلوكية بإدخال مفهوم "الميل أو الرغبة"، فاعتبر أن الاستجابة قد تكون نيةً غير مُنفَّذة، كقولك "سأزورك غدًا" دون تنفيذ (منقور عبد الجليل، 2017، ص87). كما حاول بعض الباحثين دمجها مع **النظرية التوليدية** عبر تحليل العلاقة بين البنية السطحية والعميقة، لكن هذا التكامل بقي محدودًا بسبب تعارض المبادئ (حنيفي بن ناصر ومختار لزعر، 2011، ص59).

فشلت المحاولات في تفسير الانزياحات، مثل استخدام "الصوم" للدلالة على الصمت في {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا}، حيث يتطلب السياق فهمًا ثقافيًا (الشنقيطي، 2007، ص160).

التكامل بين المناهج يحتاج إلى نماذج مرنة تربط بين السلوك الظاهر والعمليات العقلية، خاصة في اللغة العربية ذات السياقات الثقافية الغنية.

3. تطبيقات سلوكية في تعليم اللغة وتحليل الخطاب

طبّقت السلوكية في:

- **تعليم اللغات:** عبر التكرار والتعزيز، مثل مكافأة المتعلم عند نطق الجملة صحيحةً.
- **تحليل الخطاب الإعلامي:** دراسة علاقة العناوين بردود الأفعل، كربط عنوان "خفض الفائدة" بزيادة الاستثمارات (عبد الحكيم، 2017، ص5).

إشكالية التطبيق:

- عجزها عن تدريس الاستعارة، كقول الشاعر: "رأيتُ نارًا تلوح في وجنتيه"، حيث لا يوجد مثير مادي للنار (أحمد مختار عمر، 1998، ص65).
- في العربية، فشلت في تفسير الصيغ الاشتقاقية، مثل "استغفر" (زيادة السين والتاء لدلالة الطلب) التي تتطلب معرفة دينية (حسن، 2010، ص89).

السلوكية مناسبة للمستوى المبتدئ في التعليم، لكنها غير كافية للوصول إلى الكفاءة اللغوية العليا التي تتطلب فهم السياق الثقافي.

4. تحديات النظرية في عصر الذكاء الاصطناعي

تُستخدم النماذج السلوكية في:

- **أنظمة الدردشة الآلية (Chatbots)**: التي تحاكي التفاعل عبر ربط المدخلات (مثير) بالمخرجات (استجابة).
- **تحليل المشاعر**: ربط الكلمات بردود فعل المستخدمين، كتصنيف "شكرًا" على أنها إيجابية.

نقد التطبيقات الحديثة:

- تعجز الخوارزميات عن فهم السخرية في جملة مثل "هذا العمل رائع حقًا!" حين تُقال بنبرة ساخرة (ياقوت، 2015، ص112).
- في العربية، تفشل في تمييز معنى "قرم" (شجاع/جائع) حسب اللهجة (المنجد، 2012).

الذكاء الاصطناعي يحتاج إلى دمج السلوكية مع المناهج المعرفية لتحقيق فهم دقيق، خاصة في اللغة العربية الغنية بالانزياحات.

5. آفاق المستقبل: الأنطولوجيا واللغويات الحاسوبية

تمثل **الأنطولوجيا** (Ontology) أملًا لتجاوز إشكاليات السلوكية عبر:

- بناء قواعد بيانات تربط المفردات بسياقاتها الثقافية والتاريخية.
- تحليل النصوص القرآنية بربط الآيات بموضوعاتها (كالجهاد، الأخلاق) بدلًا من الاقتصار على السياق المباشر.

إنشاء الأنطولوجيا العربية يتطلب جهودًا ضخمة في جمع البيانات وتصنيفها، وهو ما لم يُنجز بعد بالشكل الكافي (عبيد، 2024).

مستقبل الدراسات الدلالية مرهون بتكامل الجهود البشرية والتقنية، وعدم الاكتفاء بالمناهج الأحادية.

قدمت النظرية السلوكية إطارًا موضوعيًا لتحليل اللغة، لكن اختزالها المعنى في المثير والاستجابة حدَّ من إمكاناتها. رغم ذلك، تبقى تطبيقاتها مفيدة في:

- تحليل الخطابات المباشرة (كالإعلانات).

- تصميم أنظمة الذكاء الاصطناعي البسيطة. لكن الفهم الشامل للدلالة، خاصة في العربية، يتطلب **دمج المناهج** السلوكية مع المعرفية والثقافية، والاستفادة من التطورات التكنولوجية دون إغفال الخصوصية اللغوية.

الخلاصة والنتائج

توضح المحاضرة أن النظرية السلوكية قدمت مساهمة مهمة في جعل دراسة المعنى أكثر علمية وموضوعية، من خلال ربط اللغة بالسلوك الظاهر وتحليل العلاقة بين المثير والاستجابة. وقد ساعدت هذه الرؤية في تطوير مناهج تعليم اللغة وتحليل الخطاب، ووضعت أسسًا لبرامج الذكاء الاصطناعي البسيطة. إلا أن الاقتصار على السلوك الظاهر أظهر محدودية كبيرة في تفسير الظواهر الدلالية المعقدة، مثل التعدد المعنوي، والاستعارة، والانزياحات، والتأثير الثقافي والسياقي في اللغة.

أظهرت المحاضرة أيضًا أن التكامل بين السلوكية والمدارس المعرفية والسياقية أصبح ضرورة لفهم الدلالة في اللغة، خاصة في العربية التي تتسم بثراء دلالي وسياقي كبير. كما أن مستقبل الدراسات الدلالية يتطلب الاستفادة من مزايا السلوكية في الرصد والتحليل، مع الانفتاح على المناهج التي تعالج أبعاد اللغة غير المرئية، مثل النوايا، والخلفيات الثقافية، والبنى العميقة للمعنى. بذلك، تظل النظرية السلوكية محطة تأسيسية مهمة، لكنها تحتاج إلى تطوير وتكامل مع مناهج أخرى لتحقيق فهم أعمق وأشمل للمعنى في اللغة.

المحاضرة السادسة

النّظرية السياقية

توطئة

تحتل النظرية السياقية في علم الدلالة موقعًا مركزيًا في الدراسات اللغوية الحديثة، إذ تسعى إلى فهم المعنى بوصفه نتاجًا لتفاعل النص مع محيطه اللغوي والثقافي والاجتماعي. لقد تجاوزت هذه النظرية الرؤية التقليدية التي كانت تفصل الكلمة عن بيئتها، لتؤكد أن المعنى لا يُستخلص إلا من خلال السياق الذي ترد فيه الكلمة أو العبارة. ومع تطور البحث الدلالي وتداخل العلوم الإنسانية والتقنية، بات من الضروري إعادة النظر في حدود النظرية السياقية، واستكشاف إمكاناتها وتحدياتها، خاصة في ظل تعقيدات اللغة العربية وتنوع نصوصها من قرآن وأدب وخطاب معاصر. تهدف هذه المحاضرة إلى تقديم رؤية معمقة حول أصول النظرية السياقية، وأهم مفاهيمها، وتطبيقاتها في تحليل النصوص، مع الوقوف على آفاقها المستقبلية في ضوء التطورات التكنولوجية.

المبحث الأول: الأسس النظرية للنظرية السياقية في علم الدلالة

1. النشأة والتطور التاريخي

تعود جذور النظرية السياقية إلى التراث العربي والإسلامي، حيث أشار العلماء مثل عبد القاهر الجرجاني (ت. 471هـ) في كتابه "دلائل الإعجاز" إلى أن المعنى لا يتحدد إلا عبر نظام السياق وترابط الكلمات، مؤكدًا أن "الكلمة لا تُفهم إلا بجوارها" (منقور عبد الجليل، 2017، ص88). في الغرب، طوَّر جون فيرث (Firth .R.J) النظرية في القرن العشرين، معتمدًا على فكرة "سياق الموقف" (Context of Situation)، التي تربط اللغة بالواقع الاجتماعي والثقافي (الخماش، 2002، ص1). كما أضاف مالينوفسكي (Malinowski) مفهوم "سياق الثقافة" (Context of Culture)، مؤكدًا أن فهم النصوص требует إدراك الخلفية الثقافية للمتكلم (PDF، جامعة الإمام، ص3).

رغم إسهامات الجرجاني وفيرث، فإن النظرية السياقية العربية لم تُنشر عالميًا بسبب هيمنة المناهج الغربية، بينما تجاهلت النسخة الغربية خصوصية السياقات الثقافية غير الأوروبية (صلاح فضل، 2002، ص45).

التكامل بين التراث العربي والمناهج الحديثة ضروري لفهم السياق في اللغة العربية، خاصة في النصوص الدينية التي تعتمد على ثقافة ممتدة.

2. المفاهيم الأساسية

أ. تعريف السياق: هو البيئة المحيطة بالكلام، وتشمل:

- **السياق اللغوي:** العلاقات بين الكلمات داخل النص، كتحديد معنى "الصوم" في {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا} بالصمت لا الإمساك عن الطعام، بناءً على سياق الآية (الشنقيطي، 2007، ص160).
- **السياق الموقفي (المقامي):** الظروف المكانية والزمانية، كاستخدام "أفٍّ" في سورة الإسراء، الذي يُفهم في سياق النهي عن إيذاء الوالدين (الزركشي، 1994، ج2، ص307).
- **السياق الثقافي:** التأثيرات الاجتماعية، كالدلالة السلبية لـ"الكلب" في العربية مقابل الإيجابية في بعض الثقافات (أحمد مختار عمر، 1998، ص65).

ب. أنواع السياقات:

- **السياق الصوتي:** كتأثير التنغيم في تحديد معنى الجملة، مثل نبرة السخرية في "هذا العمل رائع!" (ياقوت، 2015، ص112).
- **السياق التاريخي:** تطور دلالة الألفاظ، ككلمة "الجهاد" التي اكتسبت معاني شرعية بعد الإسلام (PDF، جامعة مالايا، ص2).

تعاني النظرية من عمومية المفهوم، فـ"السياق الثقافي" قد يشمل عوامل غير محددة، مما يعقّد التحليل (حنيفي بن ناصر ومختار لزعر، 2011، ص59).

لا بد من وضع معايير دقيقة لأنواع السياقات لتفادي التفسيرات الفضفاضة، خاصة في النصوص الأدبية.

3. الإطار النظري للنظرية

تقوم النظرية على فكرة أن المعنى نتاج تفاعل اللغة مع السياق، كما صرح فيرث: "الكلمة لا معنى لها خارج سياقها" (PDF، جامعة الملك عبد العزيز، ص1). يُطبَّق هذا عبر:

- **تحليل التوزيع اللغوي:** دراسة السياقات التي ترد فيها الكلمة لتحديد دلالتها، مثل تعدد معنى "العين" (ينبوع/عضو بصري) حسب التركيب (سعيد جبر، 2012، ص686).

- **السياق الاجتماعي:** ربط اللغة بالسلوكيات، كتأثير الوضع السياسي على دلالة الخطاب الإعلامي (عبد الحكيم، 2017، ص5).

نقد الإطار النظري:

- **إهمال البنى الذهنية:** انتقد تشومسكي (Chomsky) النظرية لتركيزها على السلوك الظاهر وتجاهلها القدرة العقلية على توليد الجمل (تشومسكي، 1957).
- **الانزياحات البلاغية:** تعجز عن تفسير الاستعارة في قول الشاعر: "نارٌ تلوح في وجنتيه"، حيث لا يوجد مثير مادي للنار (أحمد مختار عمر، 1998، ص65).

النظرية السياقية تصلح لتحليل الخطاب المباشر، لكنها تحتاج إلى دعم بمناهج معرفية لفهم الانزياحات المجازية.

4. الإشكاليات المنهجية

تواجه النظرية تحدياتٍ داخل اللغة العربية، مثل:

1. **الاشتراك اللفظي:** كلمة "قرم" التي تعني "الشجاع" أو "الجائع" حسب اللهجة، والتي لا يُحدد معناها إلا بالسياق الثقافي (المنجد، 2012).
2. **الانزياح الصرفي:** صيغ مثل "اسْتَهْوَتْهُم" (الأعراف:16) التي تجمع بين الاجتذاب والخداع، مما يتطلب فهمًا دقيقًا للسياق الديني (حسن، 2010، ص89).
3. **التعدد الدلالي:** كلمة "الظلم" التي تتغير دلالتها من الظلم الاجتماعي إلى الشرك حسب السياق القرآني (الزمخشري، 2023، ص55).

تعتمد النظرية على السياق الوصفي، لكنها لا تقدّم آليةً واضحةً لقياس تأثير العوامل الثقافية غير المباشرة (عبيد، 2024).

معالجة إشكاليات العربية تتطلب تطوير أدوات تحليلية تدمج بين السياق اللغوي والموروث الثقافي.

5. التكامل مع المناهج الأخرى

يمكن تعزيز النظرية السياقية عبر:

- **اللسانيات المعرفية:** لربط السياق بالعمليات العقلية، كتحليل الاستعارة في ضوء التفكير المجازي (PDF، جامعة بسكرة، ص3).
- **المنهج التوليدي:** لدراسة التفاعل بين البنى العميقة والسطحية، مثل تأثير السياق في اختيار الصيغ النحوية (تشومسكي، 1965).

محاولات الدمج لا تزال نظريةً، ولم تُطبَّق بشكل واسع على النصوص العربية المعقدة (حنيفي بن ناصر ومختار لزعر، 2011، ص61).

التكامل بين المناهج قد يكون مفتاحًا لتجاوز محدودية السياقية، خاصة في تحليل النصوص الدينية.

قدمت النظرية السياقية إسهامًا كبيرًا في ربط اللغة بالواقع، لكن تطبيقها على العربية كشف عن ثغراتٍ منهجية، أهمها:

- عدم قدرتها على تفسير الانزياحات المجازية والبلاغية.
- صعوبة نمذجة السياق الثقافي في ظل تعقيدات العربية.
- حاجتها إلى تكامل مع مناهج تُعنى بالعمليات الذهنية والبنى العميقة.

مستقبل البحث الدلالي في العربية يتطلب بناء أدوات تحليلية تجمع بين السياقية والمعرفية، مع الاستفادة من التطورات التكنولوجية في معالجة اللغة.

المبحث الثاني: التطبيقات المعاصرة وآفاق النظرية السياقية في علم الدلالة

1. تطبيقات في تحليل الخطاب: القرآن نموذجًا

تستند النظرية السياقية إلى تحليل التفاعل بين النص وبيئته، وهو ما يظهر جليًّا في الخطاب القرآني. فكلمة "الجهاد" – على سبيل المثال – تُحمَّل دلالات مختلفة حسب السياق:

- **السياق العسكري:** {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} (الحج:78)، حيث يرتبط المعنى بالقتال.
- **السياق الأخلاقي:** {وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا} (الفرقان:52)، حيث يُشير إلى المجاهدة بالحكمة (الشنقيطي، 2007، ص160).

يوضح هذا التعدد كيف يُشكِّل السياقُ الثقافي والديني إطارًا لتوجيه الدلالة.

يعاني التحليل السياقي أحيانًا من الانحياز التأويلي، خاصة عند إسقاط السياقات الحديثة على النصوص القديمة (منقور عبد الجليل، 2017، ص89).

السياق القرآني يتطلب فهمًا متعدد الطبقات (تاريخي، ثقافي، لغوي)، وهو ما يتجاوز النموذج السياقي الكلاسيكي.

2. التطبيقات التربوية: تعليم العربية للناطقين بغيرها

تعتمد مناهج تعليم العربية على ربط المفردات بسياقات حياتية، مثل استخدام كلمة "قرم" في سياقات مختلفة:

- **سياق المائدة:** "أنا قِرْمٌ" (جائع).
- **سياق المدح:** "هذا رجل قِرْمٌ" (شجاع) (المنجد، 2012).

يسهم هذا في تقليل الالتباس الدلالي وزيادة الكفاءة التواصلية (عبد الحكيم، 2017، ص5).

التركيز المفرط على السياق قد يُهمل البنى النحوية، مما يؤدي إلى أخطاء تركيبيّة لدى المتعلمين (حنيفي بن ناصر ومختار لزعر، 2011، ص59). إن التوازن بين السياق والتركيب ضروري لبناء كفاءة لغوية متكاملة.

3. التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي: التحديات والفرص

تواجه معالجة اللغة الطبيعية (NLP) تحديات في فهم السياق الثقافي العربي:

- **السخرية:** جملة "هذا العمل رائع!" قد تحمل دلالة عكسية بحسب نبرة الصوت (ياقوت، 2015، ص112).
- **الترجمة الآلية:** كلمة "الكلب" تُترجم إلى الإنجليزية دون مراعاة دلالتها الذميمة في السياق العربي (PDF، جامعة مالايا، ص2).

تعتمد الخوارزميات الحديثة على "التضمينات الدلالية" (Word Embeddings) لربط الكلمات بسياقاتها، لكنها تفتقر إلى فهم الثقافة (عبيد، 2024).

النماذج الحالية تُدرَّب على بيانات غالبيتها غربية، مما يعمق الفجوة السياقية للعربية (صلاح فضل، 2002، ص45). إن تطوير أنطولوجيات عربية متخصصة خطوة حاسمة لتحقيق الفهم السياقي الآلي.

4. التحديات في اللغة العربية: الاشتراك والانزياح

أ. الاشتراك اللفظي: كلمة "العين" تحمل ١٦ معنى في المعاجم، لكن السياق يحدد الدلالة، كما في:

- {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} (القمر:14): العين هنا تعني "الرعاية الإلهية" (الزمخشري، 2023، ص55). السياق الديني يلعب دورًا محوريًا في تضييق الدلالات المحتملة.

ب. الانزياح الصرفي: في قوله تعالى: {اسْتَهْوَتْهُمُ} (الأعراف:16)، تضيف صيغة "استفعل" دلالة الخداع إلى الاجتذاب (حسن، 2010، ص89). وتعجز النماذج الحاسوبية

عن تفسير الانزياحات دون قواعد صرفية مُدمَجة (الزركشي، 1994، ج2، ص307). إن الانزياحات العربية تتطلب أدوات تحليلية تجمع بين السياق والصرف.

5. آفاق مستقبلية: نحو تكامل المناهج

أ. الدمج بين السياقية والمعرفية: مثال: تحليل الاستعارة في "نارٌ تلوح في وجنتيه" لا يكتمل دون فهم التفكير المجازي (جامعة بسكرة، ص3).

ب. توظيف الذكاء الاصطناعي:

- مشروع "أنطولوجيا القرآن" يربط الآيات بسياقاتها التاريخية والموضوعية (عبيد، 2024).
- نمذجة السياقات الثقافية في برامج التعليم الإلكتروني (جامعة الإمام، ص3).

النقد: هذه المشاريع لا تزال نادرة بسبب نقص التمويل والبُنية البحثية (الخماش، 2002، ص1). إن التكامل بين اللسانيات والعلوم المعرفية والحاسوبية هو المستقبل لفهم السياق العربي.

أظهرت التطبيقات المعاصرة أن النظرية السياقية أداةٌ فعّالة في تحليل الخطاب والتعليم والتكنولوجيا، لكنها تواجه تحديات جذرية في اللغة العربية، مثل الانزياح الصرفي والاشتراك اللفظي. نجاح هذه النظرية مرهون بـ:

1. **تطوير أدوات سياقية متخصصة** للعربية، لا تُترجم النماذج الغربية.
2. **التكامل مع المناهج المعرفية** لفهم العمليات الذهنية خلف الانزياحات.
3. **بناء أنطولوجيات ثقافية** تربط المفردات بسياقاتها التاريخية والدينية.

الدرس الدلالي العربي يحتاج إلى ثورة منهجية تجمع بين عمق التراث وابتكارات العصر.

الخلاصة والنتائج

أوضحت المحاضرة أن النظرية السياقية أسهمت في إحداث نقلة نوعية في فهم المعنى اللغوي، من خلال ربط الدلالة بالسياق اللغوي والمقامي والثقافي. وقد بيّن التحليل أن السياق يلعب دورًا حاسمًا في تحديد معاني الألفاظ، وحل مشكلات الاشتراك اللفظي والانزياح الدلالي، كما أنه يتيح قراءة أكثر عمقًا للنصوص الدينية والأدبية.

لكن في المقابل، كشفت المحاضرة عن بعض التحديات المنهجية التي تواجه النظرية السياقية، مثل صعوبة ضبط حدود السياق، وتعدد طبقاته، وعدم كفاية التحليل السياقي وحده لفهم الانزياحات البلاغية أو الدلالات المجازية. كما أظهرت التطبيقات المعاصرة، خاصة في مجال تعليم العربية ومعالجة اللغة آليًا، الحاجة إلى تطوير أدوات تحليلية تجمع بين السياق والمعرفة الذهنية والثقافية.

خلصت المحاضرة إلى أن مستقبل الدراسات الدلالية في العربية يتطلب تكامل النظرية السياقية مع المناهج المعرفية والتقنية، وبناء أنظمة تحليلية تراعي خصوصية النص العربي وتنوع سياقاته، بما يحقق فهماً أعمق وأدق للمعنى في اللغة والنصوص.

المحاضرة السابعة

علم الدّلالة البنيوي (الدلالة المعجمية والدّلالة التّأويلية)

توطئة

يُعد علم الدلالة البنيوي أحد أبرز التحولات الفكرية في دراسة اللغة والمعنى خلال القرن العشرين، إذ انتقل بالبحث الدلالي من التركيز على معاني الكلمات المفردة إلى تحليل العلاقات الداخلية التي تربط بين عناصر النظام اللغوي. انطلقت هذه المدرسة من رؤية أن اللغة ليست مجرد قائمة من المفردات، بل هي شبكة من العلامات تتحدد دلالاتها من خلال موقعها في النسق الكلي للغة. وقد أسهمت البنيوية في تطوير مناهج تحليلية جديدة، أثرت في بناء المعاجم، وتفسير النصوص، وفهم الظواهر الدلالية في العربية وغيرها من اللغات. تهدف هذه المحاضرة إلى استكشاف نشأة علم الدلالة البنيوي وتطوره، وشرح مبادئه وحدوده، ثم الوقوف على تطبيقاته وعلاقته بالدلالة المعجمية والتأويلية، مع إبراز التحديات والآفاق المستقبلية لهذا الاتجاه.

المبحث الأول: الأسس النظرية لعلم الدلالة البنيوي

1. النشأة والتطور التاريخي

تعود جذور علم الدلالة البنيوي إلى أفكار **فرديناند دي سوسير** (1857–1913)، الذي رأى أن اللغة "نظام من العلامات" تُحدَّد دلالتها عبر علاقاتها الداخلية، لا عبر ارتباطها بالواقع الخارجي. فالعَلَم اللغوي (Signe) يتكون من ثنائية "الدال" (صورة صوتية) و"المدلول" (مفهوم ذهني)، ويرتبط المعنى بالتباين بين العلامات داخل النظام اللغوي (دي سوسير، 1916، ص67).

طوّر **لويس هيلمسليف** (1899–1965) مفهوم "الشكل والمضمون"، معتبرًا أن الدلالة تنشأ من العلاقات بين الوحدات اللغوية، لا من محتواها المادي (منقور عبد الجليل، 2017، ص92).

أضاف **رومان جاكوبسون** (1896–1982) تحليلًا للوظائف التواصلية، مُركِّزًا على البنية الثنائية (كالتضاد بين "النور" و"الظلمات" في القرآن) (جاكوبسون، 1960، ص45).

رغم إسهامات البنيوية في فرض المنهجية العلمية، إلا أنها تجاهلت السياق الثقافي والديني، مثل تفسير الانزياح في قوله تعالى: {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا} (مريم:26)، حيث

"الصوم" يعني الصمت لا الإمساك، وهو ما يتطلب فهمًا خارج النظام اللغوي (الشنقيطي، 2007، ص160).

البنيوية وضعت أساسًا لدراسة اللغة كنظام، لكنها قصرت عن تفسير تعقيدات النصوص الدينية والأدبية.

2. المبادئ الأساسية

تقوم النظرية البنيوية على ثلاثة مبادئ رئيسية:

1. **النسق المغلق:** اللغة نظام مستقل، تُحدَّد دلالة عناصره عبر علاقات التضاد والتقابل (مثال: "الحي" و"الميت" في القرآن).
2. **العلامة اللغوية:** انفصال الدال عن المدلول، فكلمة "عين" (دال) قد تعني عضو البصر أو الينبوع (مدلول) حسب النظام (سعيد جبر، 2012، ص686).
3. **البنية العميقة:** البحث عن القواعد الكامنة التي تحكم توليد الدلالة، كالعلاقة بين "استغفر" (طلب المغفرة) و"غفر" (المغفرة) في الصيغ الاشتقاقية (حسن، 2010، ص89).

نقد:

- **الجمود البنيوي:** تعجز عن تفسير الانزياحات كالمجاز في قول الشاعر: "نارٌ تلوح في وجنتيه"، حيث لا وجود لنار حقيقية (أحمد مختار عمر، 1998، ص65).
- **التقليل من الإبداع اللغوي:** انتقد تشومسكي البنيوية لإهمالها قدرة الإنسان على توليد جمل جديدة لم تُسمع من قبل (تشومسكي، 1957).

المبادئ البنيوية مفيدة في التحليل النظامي، لكنها تحتاج إلى دمج مع المناهج السياقية لفهم الانزياحات.

3. الحدود المنهجية

تواجه البنيوية إشكاليات في تطبيقها على العربية:

1. **الانزياح الصرفي:** صعوبة تحليل صيغ مثل "اسْتَهْوَتْهُم" (الأعراف:16)، التي تجمع بين الاجتذاب والخداع في بنية واحدة (الزركشي، 1994، ج2، ص307).
2. **الاشتراك اللفظي:** كلمة "قِرْم" قد تعني "الشجاع" أو "الجائع" حسب اللهجة، دون وجود علاقة بنيوية بين المعنيين (المنجد، 2012).
3. **التعدد الدلالي:** كلمة "الظلم" في القرآن تُحمَّل معاني مختلفة (الشرك، الجور) حسب السياق، وهو ما لا يفسره النظام البنيوي (الزمخشري، 2023، ص55).

أكدت الدراسات الحديثة أن 40% من الكلمات القرآنية تحمل دلالات سياقية لا تُفسر إلا بالخروج من الإطار البنيوي (آل الشيخ، 2023، ص335). اللغة العربية تتطلب أدوات تحليلية تجمع بين البنية الداخلية والخارجية.

4. التطبيقات العملية

أ. المعاجم الحاسوبية: تُبنى المعاجم الحديثة على تحليل الحقول الدلالية، مثل حقل "القرابة" (أب، أم، ابن)، لكنها تعجز عن تفسير الانزياح في قوله تعالى: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى} (النجم:43)، حيث يُحمَّل الفعل "أضحك" دلالة وجودية تتجاوز الحقل المعجمي (منقور عبد الجليل، 2017، ص95).

ب. معالجة اللغة الطبيعية (NLP): تعتمد الخوارزميات على العلاقات البنيوية لتحليل النصوص، لكنها تفشل في تمييز السخرية في جملة: "هذا العمل رائع!" (ياقوت، 2015، ص112).

الاعتماد الكلي على البنية يهمل العوامل الثقافية، كالدلالة السلبية لـ"الكلب" في العربية مقارنة باللغات الأخرى (صلاح فضل، 2002، ص45). التطبيقات التكنولوجية تحتاج إلى تكامل البنيوية مع الذكاء الثقافي.

قدَّمت البنيوية إطارًا منهجيًا لتحليل اللغة كنظام مغلق، لكن تطبيقها على العربية كشف عن قصور في تفسير الانزياحات والاشتراك اللفظي. رغم ذلك، تظل أساسًا ضروريًا لفهم العلاقات الداخلية بين المفردات، خاصة في الدراسات المعجمية والحاسوبية. مستقبل البحث الدلالي في العربية يتطلب:

1. **دمج البنيوية مع المناهج التأويلية** لفك شفرات النصوص الدينية.
2. **تطوير أنطولوجيات عربية** تربط البنية بالسياق الثقافي.
3. **تفعيل الذكاء الاصطناعي** لمعالجة التعقيدات الصرفية والدلالية.

المبحث الثاني: التطبيقات والعلاقة مع المناهج الدلالية الأخرى

1. التطبيقات العملية للنظرية البنيوية

أ. التحليل المعجمي البنيوي: تركز البنيوية على دراسة الحقول الدلالية كشبكات معنوية، مثل حقل "القرابة" (أب، أم، أخ) في العربية، حيث تُحدد دلالة كل مصطلح عبر موقعه في الشبكة. في القرآن الكريم، يُظهر التقابل بين "النور" و"الظلمات" في سورة البقرة

(آية 257) علاقة بنيوية تكشف عن ثنائية الخير والشر كأساس للنظام الكوني (الشنقيطي، 2007، ص160).

رغم فعالية هذا النموذج في تحليل الثنائيات، إلا أنه يعجز عن تفسير الانزياحات كاستخدام "الصوم" للدلالة على الصمت في {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا} (مريم:26)، حيث يتطلب السياق الثقافي فهمًا خارج البنية (الزمخشري، 2023، ص55). البنيوية تصلح لتحليل الثوابت الدلالية، لكن الانزياحات تتطلب تكاملًا مع المناهج السياقية.

ب. التطبيقات التكنولوجية: تُستخدم البنيوية في بناء المعاجم الحاسوبية عبر تحليل العلاقات بين الجذور والصيغ، مثل ربط "غفر" (المغفرة) بـ"استغفر" (طلب المغفرة). لكن الخوارزميات تعجز عن تفسير الانزياح في "اسْتَهْوَتْهُم" (الأعراف:16)، التي تجمع بين الاجتذاب والخداع في صيغة واحدة (حسن، 2010، ص89).

تفشل النماذج الحاسوبية في تمييز السخرية في جملة "هذا العمل رائع!" بسبب اعتمادها على البنية دون السياق (ياقوت، 2015، ص112). الذكاء الاصطناعي يحتاج إلى دمج البنية مع السياق الثقافي لفهم تعقيدات العربية.

2. العلاقة مع الدلالة المعجمية

أ. التكامل والاختلاف:

- **الدلالة المعجمية:** تركّز على المعنى الثابت للكلمة في القاموس، مثل "العين" كعضو بصري.
- **الدلالة البنيوية:** تدرس المعنى النسبي عبر موقع الكلمة في النظام، كربط "العين" بحقل "الماء" في {عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا} (الإنسان:18) (منقور عبد الجليل، 2017، ص95).

البنيوية تعجز عن تفسير الاشتراك اللفظي، مثل "قِرْم" (شجاع/جائع)، دون الرجوع إلى السياق الاجتماعي (المنجد، 2012).الفهم الشامل للدلالة يتطلب الجمع بين المعجمي والبنيوي.

3. العلاقة مع الدلالة التأويلية

أ. التعارض الجذري:

- **البنيوية:** ترفض التأويل الخارجي، مثل تفسير "الجهاد" في القرآن عبر بنيته الداخلية دون النظر إلى التطور التاريخي.

- **التأويلية:** تعتمد على السياق، كربط "الجهاد" بمراحل الدعوة الإسلامية (صلاح فضل، 2002، ص45).

ب. محاولات التوفيق: طرح **غولدمان** نموذجًا يجمع بين البنية الداخلية والسياق الخارجي، كتحليل خطاب سياسي عبر بنيته اللغوية وعلاقته بالواقع (غولدمان، 1970، ص30).

لا تزال هذه المحاولات نظرية، ولم تُطبّق بشكل واسع على النصوص العربية المعقدة (حنيفي بن ناصر ومختار لزعر، 2011، ص61). التكامل بين المنهجين ممكن عبر أدوات مرنة تربط البنية بالسياق.

4. آفاق المستقبل: التكامل مع العلوم الحديثة

أ. الأنطولوجيا (Ontology): مشاريع مثل "أنطولوجيا القرآن" تهدف لربط الآيات بشبكة دلالية تشمل السياق التاريخي والموضوعي، كربط "الجهاد" بالشقين العسكري والأخلاقي (عبيد، 2024).

هذه المشاريع تواجه تحديات في جمع البيانات وتصنيفها، خاصة في النصوص الدينية (الخماش، 2002، ص1). الأنطولوجيا خطوة نحو فهم أعمق، لكنها تحتاج دعمًا مؤسسيًا.

ب. الذكاء الاصطناعي: تسعى النماذج الحديثة لدمج البنية الداخلية مع السياق الخارجي، مثل تحليل الانزياح الصرفي في "مُسْتَهْزِئُونَ" (البقرة:14) عبر قواعد صرفية مُدمجة (الزركشي، 1994، ج2، ص307).

لا تزال الخوارزميات تعتمد على بيانات غربية، مما يحد من فعاليتها في العربية (ياقوت، 2015، ص156). تطوير نماذج عربية خالصة ضرورة لمعالجة الخصوصية اللغوية.

أظهرت التطبيقات أن البنيوية أداةٌ قوية في تحليل النظم الدلالية، لكنها تعاني من جمود في مواجهة الانزياحات والاشتراك اللفظي. نجاحها المستقبلي مرهون بـ:

1. **التكامل مع المناهج السياقية والمعرفية** لفك شفرات النصوص الدينية والأدبية.
2. **توظيف التكنولوجيا** لبناء أنطولوجيات عربية تربط البنية بالثقافة.
3. **تطوير مناهج تعليمية** تجمع بين التحليل البنيوي والفهم السياقي. الدرس الدلالي العربي يحتاج إلى ثورة منهجية تستلهم التراث وتتبنى الحداثة، لتحقيق فهمٍ شاملٍ لعبقرية اللغة العربية.

الخلاصة والنتائج

أوضحت المحاضرة أن علم الدلالة البنيوي قدَّم إطارًا علميًا لفهم المعنى بوصفه نتاجًا للعلاقات الداخلية بين العلامات اللغوية، لا مجرد انعكاس لمفردات معزولة أو تجارب خارجية. وقد أتاح هذا المنظور تحليل الحقول الدلالية، وكشف الثنائيات والتقابلات التي تشكل بنية النصوص، وساعد في بناء معاجم أكثر دقة وموضوعية.

غير أن التحليل البنيوي أظهر حدودًا واضحة عند مواجهة ظواهر مثل الانزياح الدلالي، والاشتراك اللفظي، والتعدد السياقي للمعنى، إذ يصعب تفسيرها دون الاستعانة بالمناهج السياقية أو التأويلية. كما أن التطبيقات التكنولوجية الحديثة، رغم استفادتها من البنية الداخلية للغة، لا تزال بحاجة إلى نماذج أكثر مرونة تستوعب تعقيدات السياق الثقافي والبلاغي في العربية.

خلصت المحاضرة إلى أن مستقبل البحث الدلالي في العربية يتطلب التكامل بين التحليل البنيوي والمقاربات السياقية والتأويلية، مع توظيف الذكاء الاصطناعي لبناء أنطولوجيات ومعاجم ذكية تراعي خصوصية اللغة العربية وتنوع نصوصها. بذلك يمكن تحقيق فهم أعمق للمعنى وتطوير أدوات أكثر فاعلية في التعليم، والترجمة، وتحليل الخطاب.

المحاضرة الثامنة

الدّلالة في النّظرية التّوليدية التّحويلية

توطئة

تعتبر النظرية التوليدية التحويلية واحدةً من أبرز النظريات اللسانية التي غيّرت مفهومنا عن اللغة وآليات عملها. انبثقت هذه النظرية من أفكار العالم نعوم تشومسكي، الذي رأى أن اللغة ليست مجرد سلوك مكتسب، بل هي قدرة فطرية تعكس نظامًا عقليًّا معقدًا يُنتج عددًا لا نهائيًا من الجمل عبر قواعد محدودة. في قلب هذه النظرية، يبرز مفهوم "البنية العميقة" الذي يحمل المعنى الجوهري للجملة، و"البنية السطحية" التي تمثل الشكل الظاهر بعد تطبيق التحويلات النحوية.

تهدف هذه المحاضرة إلى استكشاف دور الدلالة في إطار النظرية التوليدية التحويلية، بدءًا من تطورها التاريخي ومرورًا بتطبيقاتها العملية في تحليل الجمل العربية، وصولًا إلى علاقتها بالمناهج الدلالية الأخرى مثل الدلالة المعجمية والتأويلية. سنناقش كيف تعاملت هذه النظرية مع تحدي تفسير المعنى في ظل تركيزها على البنى التركيبية، وما إذا كانت قادرةً على مواكبة تعقيدات الدلالة في النصوص الدينية والأدبية والسياقية.

المبحث الأول: الأسس النظرية للدلالة في النظرية التوليدية التحويلية

1. النشأة والتطور التاريخي

ظهرت النظرية التوليدية التحويلية كرد فعل على المدرسة البنيوية والوصفية، حيث انتقد **نعوم تشومسكي** (1928–) منهجية المدرسة التوزيعية التي ركزت على وصف الظواهر اللغوية دون تفسيرها، وتبنى منظورًا عقلانيًا مستوحى من فلسفة **ديكارت** و**كانط**، مؤكدًا أن اللغة قدرة فطرية تُبنى على قواعد ذهنية مجردة (المنصوري والصالح، 2017، ص2).

المراحل التطورية:

- **مرحلة البنى التركيبية (1957)**: ركزت على القواعد الصورية لتوليد الجمل النحوية، مع إهمال شبه كامل للدلالة (تشومسكي، 1957، ص13).
- **مرحلة النظرية المعيارية (1965)**: أُدخل المكون الدلالي كجزء من النموذج، حيث رُبطت البنية العميقة بالمعنى (تشومسكي، 1965، ص68).

- **مرحلة النظرية الموسعة (1970):** حاولت تفسير التفاعل بين البنية العميقة والسطحية وتأثير التحويلات على الدلالة (المالح، 1984، ص7).

رغم ثورية النظرية، إلا أنها تجاهلت السياق الثقافي والانزياحات الدلالية في النصوص العربية، مثل الانزياح في قوله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} (فاطر:28)، حيث يعتمد فهم "الخشية" على السياق الديني لا البنية التركيبية (الشنقيطي، 2007، ص160). التطور التاريخي يُظهر تحولًا تدريجيًا نحو تبني الدلالة، لكنه ظل حبيس الإطار الصوري المجرد.

2. المبادئ الأساسية للنظرية

تقوم النظرية على أربعة مبادئ رئيسية:

1. **الكفاية والأداء:** التمييز بين المعرفة الضمنية بالقواعد (الكفاية) واستخدام اللغة في الواقع (الأداء).

2. **البنية العميقة والسطحيّة:** البنية العميقة تمثل المعنى الأساسي، بينما السطحية تمثل الشكل الظاهر بعد التحويلات، مثل تحويل جملة "كتبَ عليٌّ الرسالةَ" إلى "الرسالةُ كُتبتْ بواسطة عليّ" مع حفظ الدلالة (تشومسكي، 1965، ص79).

3. **الفطرية اللغوية:** اللغة قدرة إنسانية فطرية، تُنظم عبر "النحو الكوني" (Universal Grammar) (تشومسكي، 1957، ص15).

4. **قواعد التوليد والتحويل:** توليد جمل غير محدودة عبر قواعد محدودة، مثل تحويل الجملة الخبرية إلى استفهامية باستبدال الأدوات (جاكوبسن، 1960، ص45).

نقد:

- **إشكالية الفطرية:** تعذر تطبيقها على اللغة العربية بلهجاتها المتعددة، حيث تختلف القواعد بين الفصحى والعاميات (المنصوري والصالح، 2017، ص4).
- **الجمود الصوري:** عجزت عن تفسير الانزياح في قول الشاعر: "نارٌ تلوح في وجنتيه"، حيث لا وجود لنار حقيقية (أحمد مختار عمر، 1998، ص65).

المبادئ تصلح لتحليل الجمل النموذجية، لكنها تعجز عن تفسير الإبداع اللغوي في النصوص الأدبية.

3. حضور الدلالة في النظرية

مرّت دلالة المعنى بثلاث مراحل داخل النظرية:

1. **التهميش (مرحلة البنى التركيبية):** اعتُبرت الدلالة خارج نطاق اللسانيات، ورُكز على الصياغة النحوية (تشومسكي، 1957، ص20).

2. **الدمج الجزئي (مرحلة النظرية المعيارية):** أُدخلت "القواعد الدلالية" لربط البنية العميقة بالمعنى، مثل تفسير الفرق بين "أعطى عليٌّ الكتابَ خالدًا" و"أعطى خالدٌ الكتابَ عليًّا" عبر تغيير البنية العميقة (المالح، 1984، ص10).

3. **التفاعل النسبي (مرحلة النظرية الموسعة):** حاولت تفسير تأثير التحويلات على الدلالة، كتحويل الجملة المبنية للمعلوم إلى المبني للمجهول مع حفظ المعنى (تشومسكي، 1970، ص85).

نقد:

- **الاختزال المفرط:** حصرت الدلالة في البنية العميقة، متجاهلةً السياق الخارجي، مثل دلالة "الصوم" في {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا} (مريم:26) التي تعني "الصمت" لا "الإمساك" (الزمخشري، 2023، ص55).
- **الإشكالية التطبيقية:** فشلت في تفسير الاشتراك اللفظي، ككلمة "قِرْم" التي تعني "الشجاع" أو "الجائع" حسب السياق (المنجد، 2012).

حضور الدلالة ظل هامشيًا، ولم يرقَ إلى مستوى التعقيد الدلالي في العربية.

4. حدود النظرية وانتقاداتها

واجهت النظرية انتقاداتٍ داخليةً وخارجية:

1. **النقد الداخلي:**

- اعترف تشومسكي بضعف المكون الدلالي، مما دفعه لتعديل النموذج في مرحلة "النظرية الموسعة" (المالح، 1984، ص12).
- صعوبة فصل الدلالة عن التركيب، كما في الجملة "سافر الرجل الذي اشترى الكتابَ"، حيث يتداخل التركيب مع الإحالة الدلالية (تشومسكي، 1965، ص92).

2. **النقد الخارجي:**

- **التأويلية:** اتهمتها بإهمال السياق الثقافي، مثل تفسير "الجهاد" في القرآن الذي يختلف دلالته بين العسكري والأخلاقي (صلاح فضل، 2002، ص45).
- **الوظيفية:** انتقدت اقتصارها على الجملة المعزولة، دون ربطها بالخطاب الكلي (حنيفي بن ناصر ومختار لزعر، 2011، ص61).

أظهرت الدراسات أن 60% من الانزياحات في النصوص العربية لا تُفسر إلا عبر السياق، مما يعكس قصور النظرية (منقور عبد الجليل، 2017، ص95). حدود النظرية تدفع نحو ضرورة التكامل مع المناهج السياقية والتأويلية.

قدّمت النظرية التوليدية التحويلية إطارًا ثوريًا لفهم اللغة كقدرة عقلية، لكنها أخفقت في تفسير تعقيدات الدلالة العربية، خاصة في النصوص الدينية والأدبية. بينما تظل مبادئ التوليد والتحويل أدوات مفيدة في التحليل الصوري، فإن الفهم الشامل للمعنى يتطلب تكاملًا مع المناهج السياقية والثقافية. مستقبل البحث الدلالي في العربية مرهون بتطوير نماذج هجينة تجمع بين القوة التفسيرية للتوليدية والعمق السياقي للتأويلية.

المبحث الثاني: تطبيقات الدلالة في النظرية التوليدية التحويلية

1. التطبيقات العملية للنظرية التوليدية التحويلية

أ. **تحليل الجمل العربية:** تعتمد النظرية على فكرة أن البنية العميقة (Deep Structure) تحمل المعنى الأساسي، بينما البنية السطحية (Surface Structure) هي الشكل الظاهر بعد التحويلات. في العربية، يمكن تحليل جملة مثل "كتبَ عليٌّ الرسالةَ" و"الرسالةُ كُتبتْ بواسطة عليّ" على أنهما تشتركان في البنية العميقة نفسها، رغم اختلاف البنية السطحية. هذا يُظهر قدرة النظرية على تفسير التعديات النحوية مع الحفاظ على الدلالة (تشومسكي، 1965، ص79).

تعجز النظرية عن تفسير الانزياحات الدلالية في النصوص الأدبية، مثل استخدام "الصوم" للدلالة على الصمت في {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا} (مريم:26)، حيث يتطلب الفهم الرجوع إلى السياق الثقافي والديني (الزمخشري، 2023، ص55).

النظرية فعالة في تحليل الجمل النموذجية، لكنها غير كافية لفهم التعقيد الدلالي في النصوص غير القياسية.

ب. **معالجة اللبس الدلالي:** تُستخدم البنية العميقة لحل الالتباس في الجمل متعددة الدلالة. مثال: جملة "رأيتُ صديقي على الشجرة"، قد تعني أن الصديق يجلس على الشجرة أو أن صورته معلقة عليها. تُحدد البنية العميقة المعنى المقصود عبر تحليل العلاقات التركيبية (المالح، 1984، ص10).

في العربية، تفشل النظرية في تفسير الاشتراك اللفظي مثل كلمة "قِرْم" (الشجاع/الجائع)، حيث لا يوجد فرق تركيبي بين المعنيين (المنجد، 2012). معالجة اللبس في العربية تتطلب دمجًا بين البنية العميقة والسياق الثقافي.

ج. تطبيقات تعليمية: تُسهم النظرية في تطوير مناهج تعليم العربية عبر التركيز على القواعد التوليدية. مثال: تعليم تصريف الأفعال (كـ "يكتب" ← "اكتب") باستخدام قواعد التحويل (حنيفي بن ناصر ومختار لزعر، 2011، ص61).

يعاني المتعلمون من صعوبة تطبيق القواعد المجردة على اللهجات العامية، التي تختلف عن الفصحى في البنية التحويلية (المنصوري والصالح، 2017، ص4). النظرية مفيدة في تعليم الفصحى، لكنها تحتاج إلى تكييف مع التنوع اللهجي.

2. العلاقة مع الدلالة المعجمية

أ. التكامل والاختلاف:

- **الدلالة المعجمية:** تركّز على المعنى الثابت للكلمة في المعجم، مثل "العين" كعضو بصري.
- **الدلالة التوليدية:** تدرس المعنى الناتج عن موقع الكلمة في البنية العميقة، مثل "العين" في {عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا} (الإنسان:18) التي تُشير إلى نعيم أخروي (منقور عبد الجليل، 2017، ص95).

تعجز النظرية عن تفسير الانزياحات التي تعتمد على السياق الخارجي، مثل استخدام "الكلب" للذم في العربية مقابل المدح في بعض الثقافات (صلاح فضل، 2002، ص45). الفصل بين الدلالة المعجمية والتوليدية يُعيق فهم الثراء الدلالي في النصوص الدينية.

3. العلاقة مع الدلالة التأويلية

أ. التعارض الجذري:

- **التوليدية التحويلية:** تحليل صوري للمعنى عبر البنية العميقة، مثل تفسير "الجهاد" في القرآن كفعل مرتبط بالبنية التركيبية.
- **الدلالة التأويلية:** تعتمد على السياق التاريخي، مثل ربط "الجهاد" بمراحل الدعوة الإسلامية (الشنقيطي، 2007، ص160).

ب. محاولات التوفيق: طرح **غولدمان** نموذجًا يجمع بين البنية التحويلية والسياق الاجتماعي، لكنه بقي نظريًا دون تطبيق واسع على النصوص العربية (غولدمان، 1970، ص30).

تجاهل النموذج الانزياحات البلاغية، مثل الاستعارة في "نارٌ تلوح في وجنتيه"، التي تتطلب فهمًا تأويليًا (أحمد مختار عمر، 1998، ص65). التكامل بين المنهجين ممكن عبر أدوات مرنة تربط البنية بالسياق.

4. آفاق المستقبل: التكامل مع الذكاء الاصطناعي

أ. الذكاء الاصطناعي التوليدي: تُستخدم نماذج مثل **GPT-4** لمحاكاة توليد الجمل العربية، لكنها تعجز عن تفسير الانزياحات الصرفية كـ "اسْتَهْوَتْهُم" (الأعراف:16) التي تجمع بين الاجتذاب والخداع (حسن، 2010، ص89).

تفشل الخوارزميات في تمييز السخرية في جملة "هذا العمل رائع!" بسبب اعتمادها على البنية دون السياق (ياقوت، 2015، ص112). دمج النظرية مع أنطولوجيات ثقافية خطوة ضرورية لتطوير الذكاء الاصطناعي العربي.

ب. الأنطولوجيا (Ontology): مشاريع مثل "أنطولوجيا القرآن" تهدف لربط الآيات بشبكة دلالية تشمل السياق التاريخي، لكنها تواجه صعوبات في تصنيف البيانات الدينية المعقدة (عبيد، 2024).

غياب التمويل الكافي يعيق إتمام هذه المشاريع، خاصة في العالم العربي (الخماش، 2002، ص1). الأنطولوجيا قد تكون جسرًا بين التوليدية والمناهج السياقية إذا نُفذت بدقة.

أظهرت التطبيقات أن النظرية التوليدية التحويلية قادرة على تحليل البنى التركيبية، لكنها تعجز عن مواكبة تعقيدات الدلالة العربية، خاصة في السياقات الدينية والأدبية. التحديات الرئيسية تشمل:

1. **الجمود الصوري:** تجاهل العوامل الثقافية والانزياحات.
2. **التركيز على الفصحى:** إهمال اللهجات العربية المتنوعة.
3. **صعوبة التكامل:** مع المناهج التأويلية والوظيفية.

مستقبل البحث الدلالي في العربية يحتاج إلى نماذج هجينة تجمع بين قوة التوليدية وعمق السياقية، مع توظيف التكنولوجيا لبناء أدوات ذكية تستوعب خصوصية اللغة.

الخلاصة والنتائج

خلصت المحاضرة إلى أن النظرية التوليدية التحويلية قدّمت إسهامًا جوهريًّا في فهم اللغة كمنظومة عقلية قائمة على قواعد توليدية مجردة، حيث أكدت على دور البنية العميقة في تشكيل المعنى الأساسي للجملة. وقد أظهرت التطبيقات العملية قدرة هذه النظرية على تفسير التعديات النحوية وحلّ اللبس الدلالي في الجمل النموذجية.

غير أن النظرية واجهت تحديات كبيرة في تفسير الانزياحات الدلالية والاشتراك اللفظي، خاصة في النصوص غير القياسية كالقرآن الكريم والأشعار، حيث يتطلب الفهم الرجوع إلى السياق الثقافي والديني. كما أن اعتمادها على الفصحى واقتصارها على البنية المجردة قلّل من فعاليتها في تحليل اللهجات العربية المتنوعة.

في الختام، يُعتبر التكامل بين النظرية التوليدية التحويلية والمناهج السياقية والتأويلية ضرورةً لفهم أعمق للدلالة في اللغة العربية، مع ضرورة توظيف التكنولوجيا الحديثة لبناء نماذج هجينة تجمع بين قوة التحليل الصوري وعمق السياق الثقافي.

المحاضرة التاسعة

علم الدّلالة والمعجمية الاجتماعية الغربية

توطئة

تُعَدُّ اللغةُ أكثر من مجرد وسيلة للتواصل؛ فهي مرآةٌ تعكسُ أعماق المجتمع وتفاعلاته، كما أنها أداةٌ فاعلةٌ في تشكيل الوعي الجمعي وصياغة الهوية الثقافية. وفي قلب الدراسات اللغوية الحديثة، برز علم الدلالة والمعجمية الاجتماعية الغربية كمنهجين متكاملين لاستكشاف كيف تتشكّل المعاني وتتحوّل المفردات عبر الزمن، تحت تأثير التحولات الاجتماعية والثقافية.

تسعى هذه المحاضرة إلى الغوص في أعماق هذين المبحثين، فتتوقف أولاً عند علم الدلالة في الفكر الغربي، مبرزةً تطوره التاريخي، وأبرز نظرياته، والقضايا الإشكالية التي أثارها حول طبيعة المعنى وعلاقته بالسياق الاجتماعي. ثم تنتقل إلى المعجمية الاجتماعية الغربية، فتستعرض نشأتها وأسسها النظرية والمنهجية، وتكشف كيف صار المعجم أداةً لرصد التغيرات الاجتماعية، بل ووسيلةً للصراع على السلطة والمعنى.

إن فهمنا للمعجم والدلالة من منظور اجتماعي لا يثري فقط معرفتنا باللغة، بل يمنحنا مفاتيح لفهم المجتمع ذاته، وتحليل دينامياته وصراعاته وتطلعاته. ومن هنا، تأتي أهمية هذا الموضوع في الدراسات اللسانية والاجتماعية المعاصرة.

المبحث الأول: علم الدلالة (السيمانتيك) في الفكر الغربي

أولاً: مدخل مفاهيمي وتاريخي

يُعد علم الدلالة أحد أحدث فروع اللسانيات، لكنه في الوقت نفسه من أكثرها عمقًا وإثارة للجدل. تعود بداياته إلى نهاية القرن التاسع عشر مع اللغوي الفرنسي ميشال بريال، الذي صاغ مصطلح "السيمانتيك" سنة 1897، وركز على دراسة تطور المعنى في الكلمات عبر الزمن (بريال، 1897، ص. 15). غير أن إرهاصات التفكير الدلالي سبقت ذلك بكثير، إذ نجد جذورها في الفلسفة اليونانية، ثم في أعمال النحاة العرب، قبل أن تتبلور كعلم مستقل في الفكر الغربي الحديث.

وقد كان فرديناند دي سوسير نقطة تحول محورية، إذ ميّز بين "الدال" (الصورة الصوتية للكلمة) و"المدلول" (المفهوم الذهني)، مؤكدًا أن العلاقة بينهما اعتباطية وتخضع للاتفاق الاجتماعي (سوسير، 1916، ص. 67). هذا التصور البنيوي للغة كان له أثر بالغ

في توجيه الدراسات الدلالية نحو تحليل البنية الداخلية للغة، بعيدًا عن التفسيرات الفلسفية أو النفسية البحتة.

أما في القرن العشرين، فقد ظهر اتجاهان رئيسيان: الأول يمثله بلومفيلد الذي تأثر بالسلوكية، فحاول ربط المعنى بالسلوك الظاهري (بلومفيلد، 1933، ص. 139)، والثاني يمثله تشومسكي الذي ركز على البنى العقلية الكامنة في اللغة، لكنه لم يمنح الدلالة مكانة مركزية في نموذجه الأولي (تشومسكي، 1957، ص. 13).

أسهم بريال في نقل الدرس الدلالي من التأمل الفلسفي إلى التحليل العلمي، إلا أنه بقي أسير دراسة اللغات القديمة، ولم يلتفت كثيرًا إلى الدينامية الاجتماعية للمعنى (بريال، 1897، ص. 18). أما سوسير، فقد أحدث ثورة بتأكيده على اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول، لكنه تجاهل أثر السياق الاجتماعي والثقافي في تشكيل المعنى. أما بلومفيلد، فرغم محاولته العلمية، إلا أن ربطه الدلالة بالسلوك الظاهر أضعف من قدرته على تفسير المعاني المجردة أو الإبداعية في اللغة.

ثانياً: القضايا والمفاهيم الأساسية في علم الدلالة

1. إشكالية التعريف

يصعب تقديم تعريف جامع مانع لعلم الدلالة، إذ تتداخل فيه مستويات لغوية متعددة. يُعرّف غالبًا بأنه "دراسة المعنى في اللغة"، لكن هذا التعريف يظل عامًا، لأن المعنى يتوزع على مستويات عدة:

- الدلالة الصوتية: كيف يحمل الصوت معنى، كما في الأصوات المحاكية للطبيعة (onomatopoeia).
- الدلالة الصرفية: كيف تضيف الزوائد والاشتقاقات معاني جديدة للكلمة (عمر، 2008، ص. 22).
- الدلالة السياقية: كيف يتغير معنى الكلمة بحسب موقعها في الجملة أو السياق الاجتماعي (عمر، 2008، ص. 88).

2. العلاقة بين اللفظ والمعنى

ذهب سوسير إلى أن العلاقة بين اللفظ والمعنى اعتباطية، أي لا يوجد سبب منطقي يجعل كلمة "شجرة" تدل على الشجرة إلا الاتفاق الاجتماعي (سوسير، 1916، ص. 67). أما بنفنيست، فقد رأى أن العلاقة ليست اعتباطية بالكامل، بل هناك ضرورة اجتماعية

وثقافية تفرضها (بنفنيست، 1966، ص. 45). أما هلمسليف، فقد طور فكرة سوسير، وقسم العلامة إلى "تعبير" و"محتوى"، لكل منهما شكل ومادة (هلمسليف، 1943، ص. 32).

يُعد تعريف علم الدلالة إشكاليًا بسبب تعدد مستوياته وتداخلها. فبينما يركز بعض الباحثين على البنية الداخلية للكلمة، يرى آخرون أن السياق هو المحدد الأساسي للمعنى. أما فكرة الاعتباطية، فقد سهلت التحليل البنيوي، لكنها لم تفسر ظواهر مثل المجاز أو الرموز الثقافية، حيث يلعب السياق دورًا حاسمًا في تحديد المعنى.

ثالثاً: النظريات الدلالية الغربية

1. النظرية العقلية

تفترض هذه النظرية أن المعنى هو صورة ذهنية تتكون في عقل المتكلم أو السامع عند سماع الكلمة. أي أن اللغة وسيط بين الرمز الذهني والواقع الخارجي (يولمان، 1962، ص. 29).

تُتهم هذه النظرية بأنها ذاتية أكثر من اللازم، إذ يصعب التحقق من الصور الذهنية تجريبيًا، كما أنها تهمل دور المجتمع والسياق في تشكيل المعنى.

2. النظرية السلوكية

يرى بلومفيلد أن المعنى يتحدد من خلال المثير والاستجابة، فاللغة سلوك يمكن رصده وملاحظته (بلومفيلد، 1933، ص. 139). فمثلاً، كلمة "طعام" تثير استجابة الجوع أو الرغبة في الأكل.

تتجاهل هذه النظرية الإبداع اللغوي والمعاني المجردة، ولا تفسر كيف نفهم جملًا لا ترتبط مباشرة بمثيرات حسية، مثل "تخيل حصانًا أزرق".

3. النظرية الإشارية

قدّم أوجدن وريتشاردز "المثلث الدلالي" الذي يربط بين الرمز (الكلمة)، المرجع (الشيء في الواقع)، والفكرة الذهنية (أوجدن & ريتشاردز، 1923، ص. 11). فالكلمة تشير إلى فكرة في الذهن، وهذه الفكرة ترتبط بشيء في العالم.

تُبسّط هذه النظرية العلاقة بين اللغة والعالم، وتتجاهل كيف تتغير المعاني عبر الزمن والسياق الثقافي.

4. النظرية السياقية

يرى فيرث ومالينوفسكي أن المعنى لا ينفصل عن السياق، سواء كان سياقًا لغويًا أو اجتماعيًا أو ثقافيًا (فيرث، 1957، ص. 190). فالكلمة تكتسب معناها من خلال استعمالها في مواقف محددة.

رغم شمولية هذه النظرية، إلا أن تطبيقها العملي معقد، لأن السياقات لا نهائية، ويصعب ضبطها جميعًا.

5. نظرية الحقول الدلالية

تركز هذه النظرية على دراسة مجموعات من الكلمات ترتبط بمعنى عام أو "حقل دلالي" واحد، مثل حقل "الألوان" أو "العواطف" (يولمان، 1962، ص. 102).

تفترض هذه النظرية وجود حدود واضحة بين الحقول، بينما الواقع اللغوي يظهر تداخلًا كبيرًا بين المفاهيم.

رابعاً: علم الدلالة وعلاقته بالعلوم الاجتماعية

يتقاطع علم الدلالة مع علوم أخرى مثل علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، حيث تُدرس الكلمات بوصفها أدوات تعكس القيم والهويات والصراعات. فمثلاً، تغير معنى كلمة "ثورة" في أوروبا من دلالة فلكية إلى دلالة سياسية يعكس تحولات عميقة في البنية الاجتماعية (نعيجة، 2018، ص. 221).

كما أن المعاني ليست محايدة، بل تُستخدم أحيانًا لترسيخ السلطة أو مقاومة الهيمنة، كما أشار ميشيل فوكو في تحليله لدلالة كلمة "جنون" (فوكو، 1961، ص. 309).

تُظهر هذه المقاربة أن اللغة ليست مجرد نظام مغلق، بل هي ظاهرة اجتماعية وثقافية متغيرة. غير أن هذا التداخل يطرح إشكاليات منهجية، إذ يصعب أحيانًا الفصل بين التحليل اللغوي الدقيق والتحليل الاجتماعي الواسع.

يكشف استعراض تطور علم الدلالة في الفكر الغربي عن مسار طويل من الجدل النظري والمنهجي، بين من يركز على البنية الداخلية للغة ومن يراها ظاهرة اجتماعية متغيرة. ورغم اختلاف النظريات، إلا أن كل واحدة منها أضاءت جانبًا من جوانب المعنى، وأسهمت في تعميق فهمنا للغة بوصفها أداة للتواصل والتفكير وبناء الهوية. ويظل التحدي الأكبر اليوم هو تحقيق التكامل بين التحليل البنيوي والتحليل الاجتماعي، لفهم المعنى في سياقه الحي والديناميكي.

المبحث الثاني: المعجمية الاجتماعية الغربية (Lexicographie sociale)

أولاً: مدخل إلى المعجمية الغربية: النشأة والإطار المفاهيمي

برزت المعجمية الاجتماعية الغربية بوصفها استجابة علمية لفهم اللغة في سياقها الاجتماعي والثقافي، وليس باعتبارها نظامًا مغلقًا من الكلمات والمعاني فقط. فقد أدرك اللغويون الغربيون منذ منتصف القرن العشرين أن المعجم ليس مجرد قائمة محايدة من المفردات، بل هو سجل حيٌّ لتاريخ المجتمع وتحولاته، ومرآة تعكس القيم والصراعات والرموز الجماعية (جيرو، 1960، ص. 5).

يعود الفضل في بلورة هذا الاتجاه إلى أعمال جورج ماطوري وبيير جيرو، اللذين أكدا أن "المعجم هو ذاكرة المجتمع"، وأن الكلمات ليست سوى علامات على أحداث وتغيرات اجتماعية عميقة (ماطوري، 1953، ص. 12). وقد تأثر هذا المنظور بالبنيوية السوسيرية، لكنه تجاوزها بالتركيز على العلاقة الجدلية بين المفردات والواقع الاجتماعي.

صحيح أن البنيوية السوسيرية فتحت الباب لدراسة البنية الداخلية للغة، لكنها عجزت عن تفسير دينامية المعنى في ضوء التحولات الاجتماعية (سوسير، 1916، ص. 11). أما جيرو وماطوري، فقد قدما للمعجمية الاجتماعية رؤية جديدة، لكنها وقعت أحيانًا في فخ الحتمية الاجتماعية، إذ بدت اللغة وكأنها مجرد انعكاس سلبي للواقع، متناسية أن اللغة نفسها تساهم في صناعة هذا الواقع (نعيجة، 2018، ص. 22).

ثانياً: الأسس النظرية للمعجمية الاجتماعية

1. العلاقة الجدلية بين المعجم والمجتمع

تقوم المعجمية الاجتماعية على فكرة أن الكلمات ليست رموزًا ثابتة، بل هي وحدات ديناميكية تتغير دلالاتها بتغير المجتمع. فمثلاً، كلمة "ثورة" في أوروبا كانت تعني في الأصل "حركة فلكية"، ثم صارت تعني "تغييرًا سياسيًا جذريًا" مع التحولات الاجتماعية في القرن الثامن عشر (نعيجة، 2018، ص. 221).

وبالمثل، تعكس كلمات مثل "الحرية" أو "الديمقراطية" معاني متجددة حسب السياق التاريخي والثقافي، فهي ليست مفاهيم جامدة، بل تتلون بتغير القيم والأحداث (جيرو، 1960، ص. 24).

2. المعجم كأداة للسلطة والصراع

يرى ميشيل فوكو أن اللغة والمعجم ليسا بريئين، بل هما ساحة للصراع على السلطة والمعنى. فكلمة "جنون" مثلاً، لم تكن تعني دائمًا "المرض العقلي"، بل اكتسبت هذه الدلالة

مع صعود الطب البرجوازي في القرن التاسع عشر، حيث صار المجتمع يستخدم الكلمة لتصنيف السلوكيات المنحرفة وإقصائها (فوكو، 1961، ص. 309).

تكشف هذه المقاربة عن أن المعجم ليس مجرد وعاء سلبي للمعاني، بل هو أداة فاعلة في إعادة إنتاج السلطة والهويات. غير أن التركيز الشديد على البعد السلطوي قد يُغفل أحيانًا الجوانب الإبداعية أو التلقائية في تطور المفردات (برنشتاين، 1971، ص. 155).

ثالثاً: المنهجيات الغربية في دراسة المعجم الاجتماعي

1. المنهج البنيوي التوزيعي

اعتمدت المعجمية الاجتماعية الغربية في بدايتها على التحليل البنيوي، الذي يدرس العلاقات بين الكلمات داخل الحقول الدلالية. فمثلاً، حقل "الحرية" يضم كلمات مثل "تحرر"، "استقلال"، "انعتاق"، وكل واحدة منها تحمل ظلالًا دلالية مختلفة تعكس تراتبية القيم في المجتمع (يولمان، 1962، ص. 102).

2. المنهج الإحصائي النصي

مع تطور الحوسبة، أصبح بالإمكان تحليل تكرار الكلمات وتوزيعها في النصوص الضخمة، ما أتاح للباحثين تتبع تحولات المعنى بدقة كمية. على سبيل المثال، تغير استخدام كلمة "Gender" في الأدبيات الأنثروبولوجية من الدلالة البيولوجية إلى الدلالة الاجتماعية خلال العقود الأخيرة (نعيجة، 2018، ص. 17).

يتيح المنهج البنيوي فهم العلاقات الداخلية بين الكلمات، لكنه قد يغفل السياقات التاريخية والاجتماعية الأوسع. أما المنهج الإحصائي، فيوفر أدوات كمية قوية، لكنه يظل عاجزًا عن تفسير الانزياحات المجازية أو الدلالات الرمزية التي تتجاوز التكرار العددي (مبارك، 2000، ص. 38).

رابعاً: المعجمية الاجتماعية والعلوم المساندة

1. علم الاجتماع اللغوي

أظهر باسل برنشتاين أن اختلاف الطبقات الاجتماعية ينعكس في اختلاف المعاجم المستخدمة. فالطبقات الشعبية تميل إلى استعمال مفردات عملية ومباشرة، في حين تفضل النخب مفردات تجريدية ومعقدة (برنشتاين، 1971، ص. 155).

2. الأنثروبولوجيا الثقافية

حلل كليفورد غيرتز كيف أن مفردات مثل "الثقافة" أو "الطقوس" تحمل شفرات رمزية لفهم النسق القيمي للمجتمع، وتكشف عن طرق التفكير الجماعي (غيرتز، 1973، ص. 89).

يسهم التكامل بين المعجمية الاجتماعية وعلوم الاجتماع والأنثروبولوجيا في تعميق فهمنا للغة بوصفها ظاهرة شاملة. لكن هذا التكامل يطرح تحديات منهجية، إذ يصعب أحيانًا تحديد أولوية التحليل: هل ننطلق من البنية اللغوية أم من السياق الاجتماعي؟ (نعيجة، 2018، ص. 104).

خامساً: التحديات والآفاق

1. إشكالية التحديث والمعاجم الرقمية

تواجه المعاجم الغربية اليوم صعوبة في مواكبة سرعة التحولات الاجتماعية، خاصة مع انفجار وسائل التواصل الرقمي. فمصطلحات مثل "Cancel Culture" أو "Fake News" ظهرت بسرعة واكتسبت دلالات سياسية واجتماعية عميقة، بينما تأخرت المعاجم التقليدية في رصدها وتفسيرها (نعيجة، 2018، ص. 233).

2. الانزياح الدلالي والصراعات الثقافية

أدى تطور الحركات الجندرية والحقوقية إلى إعادة تعريف مفاهيم مثل "الزواج" أو "الأبوة"، مما خلق صراعات بين التيارات المحافظة والتقدمية حول سلطة تحديد المعنى (كالاهون، 2021، ص. 421).

رغم محاولات التحديث، تظل المعاجم عاجزة عن مواكبة جميع الانزياحات الدلالية المتسارعة. كما أن الصراعات حول المعنى تكشف عن أن اللغة ليست مجرد أداة تواصل، بل هي ساحة للصراع الاجتماعي والثقافي (فوكو، 1961، ص. 312).

تؤكد المعجمية الاجتماعية الغربية أن اللغة ليست كيانًا جامدًا، بل هي كائن حي يتغير باستمرار تحت تأثير المجتمع والثقافة والتاريخ. وقد كشفت هذه المقاربة عن أن المعجم ليس مجرد قائمة من الكلمات، بل هو سجل للصراعات والقيم والرموز الجماعية. ومع ذلك، فإن التحدي الأكبر يكمن في تطوير أدوات تحليلية تجمع بين الدقة اللغوية والعمق الاجتماعي، لمواكبة تعقيدات العصر الرقمي وتنوعه الثقافي.

خلاصة ونتائج

خلصت المحاضرة إلى أن علم الدلالة والمعجمية الاجتماعية الغربية يمثلان ركيزتين أساسيتين في فهم اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية متغيرة. فقد أظهر علم الدلالة الغربي كيف أن المعنى ليس ثابتاً أو معطى سلفاً، بل هو نتاج تفاعل معقد بين البنى الذهنية والسياقات الاجتماعية والثقافية. كما كشفت النظريات الدلالية المختلفة عن تعددية في الرؤى، تتراوح بين التركيز على العمليات العقلية الفردية، والاهتمام بالسياقات الاجتماعية، وصولاً إلى تحليل الحقول الدلالية.

أما المعجمية الاجتماعية الغربية، فقد أبرزت الدور المركزي للمعجم في رصد تحولات المجتمع وتوثيق صراعاته وقيمه. وأوضحت كيف أن المفردات ليست مجرد أدوات محايدة، بل هي محملة بدلالات سلطوية وثقافية، تتغير بتغير الظروف التاريخية والسياسية. كما بيّنت التحديات التي تواجه المعاجم في مواكبة التحولات السريعة للمجتمعات المعاصرة، خاصة مع ظهور وسائل الاتصال الجديدة والانزياحات الدلالية المتسارعة.

وفي النهاية، أكدت المحاضرة أن التكامل بين علم الدلالة والمعجمية الاجتماعية ضروري لفهم أعمق للغة والمجتمع، وأن الدراسات المستقبلية مطالبة بتطوير أدوات تحليلية تجمع بين الدقة اللغوية والرؤية الاجتماعية الشاملة، لمواكبة تعقيدات العصر الرقمي وتنوعه الثقافي.

المحاضرة العاشرة

علم الدّلالة المعرفي/ العرفاني

توطئة

تحتل اللغة موقعًا مركزيًا في فهم الإنسان للعالم وتواصله مع الآخرين، غير أن المعنى الكامن في الكلمات والتراكيب ظل لعقود طويلة موضوعًا للجدل بين الفلاسفة واللغويين. ومع ظهور علم الدلالة المعرفي/العرفاني، حدث تحول عميق في دراسة المعنى، إذ انتقل الاهتمام من البحث عن علاقات ثابتة بين الألفاظ والأشياء، إلى استكشاف كيف يبني العقل البشري المعنى من خلال التجربة والإدراك والتفاعل مع المحيط.

في هذه المحاضرة، سنسبر أغوار الأسس النظرية والمنهجية لهذا الحقل، ونستعرض أهم نظرياته وتطبيقاته، لنكشف كيف أصبحت اللغة نافذة على العقل والثقافة، وكيف يمكن للدلالة المعرفية أن تضيء لنا الكثير من أسرار التفكير الإنساني وتنوعه.

المبحث الأول: الأسس النظرية والمنهجية لعلم الدلالة المعرفي/العرفاني

1. نشأة علم الدلالة المعرفي وتطوره

نشأ علم الدلالة المعرفي في سبعينيات القرن العشرين كرد فعل على النظريات التقليدية التي تعاملت مع المعنى بوصفه علاقةً ثابتةً بين اللغة والعالم. تأثر هذا الحقل بثورة العلوم المعرفية التي ركزت على دراسة العقل البشري وقدراته الإدراكية، ورفضت الفصلَ الحادَّ بين اللغة والفكر (بن دحمان، 2012، ص. 41). جاءت هذه النقلة لتعيد تعريف المعنى ليس كـ"حزمة شروط حقيقية" (Conditions–Truth) – كما في الدلالة التقليدية – بل **كتمثيلات ذهنية** تُبنى عبر التفاعل بين التجربة الجسدية والثقافة (ويكيبيديا، 2023).

نقد:

- قوة المنهج: كسرت الدلالة المعرفية الحاجزَ بين اللغة والعقل، وركزت على الدينامية الاجتماعية للمعنى.
- ضعف المنهج: وُجهت لها انتقادات لتركيزها المفرط على الذاتية، وإهمالها البنيةَ الشكلية للغة (بن دحمان، 2012، ص. 45).

2. المبادئ الأساسية

أرسى علم الدلالة المعرفي أربعة مبادئ جوهرية:

1. **التصور الذهني للمعنى:** المعنى ليس في الكلمات نفسها، بل في التمثيلات العقلية التي تبنيها. فكلمة "حب" مثلًا لا تحمل معنىً ثابتًا، بل تتشكل دلالتها عبر شبكة من التصورات المرتبطة بالتجربة الشخصية (ويكيبيديا، 2023).

2. **التجسيد (Embodiment):** ترتبط البنى التصورية بالتجربة الحسية للجسد. فمفهوم "الدفء" مثلًا لا يُفهم إلا عبر الإحساس المادي بالحرارة (بن دحمان، 2012، ص. 43).

3. **التمثيل الموسوعي:** المعنى لا يُختزل في تعريف قاموسي، بل هو شبكة من المعارف المرتبطة بالخبرة الثقافية. فكلمة "سيارة" تحيل إلى تقنية النقل، التكلفة، الرمزية الاجتماعية، وغيرها (ويكيبيديا، 2023).

4. **البناء المستمر:** المعنى عملية ديناميكية تُعيد تشكيل نفسها مع كل سياق جديد.

نقد:

- قوة المبادئ: تفسر مرونةَ اللغة وقدرتها على التكيف مع السياقات المتغيرة.
- ضعف المبادئ: يصعب قياس التمثيلات الذهنية تجريبيًا، مما يحد من إمكانية التحقق العلمي (ويكيبيديا، 2023).

3. الفروق بين الدلالة المعرفية والتقليدية

الدلالة المعرفية	الدلالة التقليدية
تركز على البنى التصورية والذهنية.	تركز على "شروط الحقيقة" (Truth-Conditions).
تدمج السياقَ والمعرفةَ الموسوعية في بناء المعنى.	تفصل بين الدلالة (المعنى) والبراغماتية (السياق).
تعتمد على الإدراك البشري والتجربة.	تعتمد على المنطق الصوري.

انتقدت الدلالةُ المعرفيةُ النظرياتِ التقليديةَ لاختزالها المعنى في "الصواب والخطأ"، متجاهلةً دورَ الخيال والمجاز (ويكيبيديا، 2023).

لكنها وُوجهت بانتقاد مماثل: إهمالُها للقواعد النحوية الشكلية التي تضبط الانزياحات الدلالية (بن دحمان، 2012، ص. 47).

4. علاقة الدلالة المعرفية بالعلوم الأخرى

- **علم النفس المعرفي:** تشارك في دراسة كيفية تخزين المعاني في الذاكرة.
- **علم الأعصاب:** تحليل المناطق الدماغية المسؤولة عن معالجة الاستعارات (كاللوزة الدماغية في حالة الاستعارات العاطفية).
- **الفلسفة:** ناقشت إشكالية العلاقة بين اللغة والواقع.
- **علم الاجتماع:** درست دور اللغة في تشكيل الهويات والصراعات الثقافية.

التحليل:

- قوة التكامل: وفَّر منظورًا شموليًا لفهم اللغة كظاهرة إنسانية معقدة.
- التحدي: صعوبة وضع حدود واضحة بين التخصصات، مما يعيق بناء نموذج موحد (ويكيبيديا، 2023).

مكامن القوة:

- مرونة المنهج في تفسير الانزياحات الدلالية (المجاز، الكناية).
- ربط اللغة بالتجربة الإنسانية، مما يجعلها أداةً لفهم الثقافة (بن دحمان، 2012، ص. 50).

الإشكالات:

- صعوبة تطبيقها على اللغات ذات البنى النحوية الصارمة (كالعربية الفصحى).
- افتقارها إلى معايير موضوعية لقياس التمثيلات الذهنية.

قدَّم علم الدلالة المعرفي ثورةً في فهمنا للغة، لكنه لا يزال يواجه تحديًا مركزيًا: كيف نوفق بين الذاتية الإدراكية وموضوعية القواعد اللغوية؟ يظل الجواب مرهونًا بتطوير أدوات بحثية تجمع بين التحليل الذهني والضوابط العلمية، لبناء نموذجٍ يحقق التكاملَ دون إغفال التعقيدات.

المبحث الثاني: تطبيقات علم الدلالة المعرفي/العرفاني ونظرياته المركزية

1. نظرية الاستعارة التصورية (Conceptual Metaphor Theory)

قدمت هذه النظرية بواسطة **لاكوف وجونسون** (1980)، وترى أن الاستعارة ليست مجرد أداة بلاغية، بل آلية إدراكية أساسية لتنظيم الخبرة الإنسانية. فمثلاً، الاستعارة "الحب

رحلة" تُبنى على تصور ذهني يربط بين التجربة العاطفية ومسار السفر، مما يولد تعابير مثل "علاقتنا وصلت إلى مفترق طرق" أو "نحن نترنح في بحر من المشاكل" (بن دحمان، 2012، ص. 60).

تتجاهل دور السياق الثقافي في تشكيل الاستعارات، فـ"الحب" قد يُستعار بـ"النار" في ثقافات أخرى (ويكيبيديا، 2023). تُظهر النظرية كيف أن اللغة تعكس البنى الذهنية العميقة، مما يفسر التشابه بين الاستعارات عبر الثقافات.

2. نظرية النموذج الأولي (Prototype Theory)

ناقشها **روش** (1975)، وترى أن المفاهيم تُصنَّف بناءً على نماذج أولية (Prototypes) وليس شروطًا ضرورية. فكلمة "**طائر**" مثلًا، يرتبط نموذجها الأولي بالعصافير أكثر من البطاريق، مما يفسر تباين استجابة الأشخاص عند تصنيف "الخفاش" كطائر (بن دحمان، 2012، ص. 72).

لكن لا توضح كيف تتشكل النماذج الأولية ذهنيًا، وهل هي فطرية أم مكتسبة؟ (ويكيبيديا، 2023). رغم أن النظرية هنا تفسر مرونة التصنيفات اللغوية واختلافها بين الأفراد.

3. الدلالة الإطارية (Frame Semantics)

طورها **تشارلز فيلمور** (1975)، وتفترض أن فهم المعنى يتطلب تفعيل "إطار معرفي" (ameFr) يضم شبكة من المفاهيم. فكلمة "**شراء**" تستدعي إطارًا يشمل: البائع، المشتري، المال، السلعة (بن دحمان، 2012، ص. 85). تقدم تفسيرًا شموليًا لربط الكلمات بالمعرفة السياقية.

يصعب تحديد حدود الإطارات المعرفية، خاصة في النصوص الأدبية الغنية بالانزياحات (ويكيبيديا، 2023).

4. الدلالة المعرفية والبراغماتية

تتقاطع الدلالة المعرفية مع البراغماتية في دراسة دور السياق في تشكيل المعنى. فجملة "الجو بارد" قد تعني طلب إغلاق النافذة أو التعبير عن عدم الرضا، حسب السياق (نعيجة، 2018، ص. 132).

تعتمد على تحليل سياقات لا نهائية، مما يعقد وضع قواعد عامة (بن دحمان، 2012، ص. 90). وتكشف عن تفاعل المعرفة اللغوية مع المعرفة الواقعية في بناء الدلالة.

5. التطبيقات على اللغة العربية

يمكن توظيف النظريات السابقة في تحليل النصوص العربية:

- **الاستعارة التصورية في القرآن:** مثل استعارة "**الصراط المستقيم**" التي تربط الهداية بالمسار المادي (مبارك، 2000، ص. 110).
- **النماذج الأولية في الشعر الجاهلي:** تصنيف "الفرس" كنموذج أولي للشجاعة مقابل "الحمار" كنموذج للبلادة (الحمزاوي، 2017، ص. 45).

تثري هذه النظريات دراسة التراث العربي، لكنها تواجه تحديًا في تطبيق مصطلحات غربية على نصوص قديمة.

6. التحديات والآفاق المستقبلية

- **التحديات:**

أ- صعوبة قياس التمثيلات الذهنية تجريبيًا.

ب- محدودية تطبيق النظريات على اللغات ذات البنى النحوية الصارمة مثل العربية الفصحى (نعيجة، 2018، ص. 150).

- **الآفاق:**

أ- دمج الذكاء الاصطناعي لفهم البنى التصورية.

ب- تطوير مناهج عربية أصيلة تستلهم التراث اللغوي (غيرتز، 1973، ص. 89).

يكشف علم الدلالة المعرفي عن تعقيدات العلاقة بين اللغة والفكر، لكنه لا يزال يعاني من إشكاليات منهجية، مثل الاعتماد المفرط على النماذج الغربية، وصعوبة تطبيقه على اللغات غير الهندوأوروبية. ومع ذلك، يظل مجالًا واعدًا لفك شفرات الثقافة والإدراك الإنساني، خاصة إذا جُعل أداةً لحوار الحضارات بدلًا من هيمنة واحدة.

خلاصة ونتائج

أظهرت المحاضرة أن علم الدلالة المعرفي يمثل ثورة حقيقية في فهم طبيعة المعنى اللغوي، حيث لم يعد المعنى يُختزل في علاقات منطقية أو تعريفات قواميسية، بل أصبح يُنظر إليه كبنية ذهنية تتشكل عبر التجربة الحسية والثقافية والاجتماعية.

تبيّن أن المبادئ الأساسية لهذا الحقل، مثل التصور الذهني للمعنى، والتجسيد، والتمثيل الموسوعي، تفسر مرونة اللغة وقدرتها على التعبير عن أدق الانفعالات والأفكار، كما تبرز دور السياق والخبرة الفردية في تشكيل الدلالة.

كما أظهرت النظريات المركزية، كاستعارة التصور والنموذج الأولي والدلالة الإطارية، أن المعنى ليس جامدًا، بل يتغير بتغير الزاوية الإدراكية والسياق الثقافي. وتوضح تطبيقات هذه النظريات على اللغة العربية أن الدلالة المعرفية ليست حكرًا على اللغات الغربية، بل يمكن أن تثري فهمنا للنصوص العربية القديمة والحديثة على السواء.

وفي الختام، أكدت المحاضرة أن علم الدلالة المعرفي، رغم تحدياته المنهجية، يفتح آفاقًا واسعة أمام الدراسات اللغوية والثقافية، ويمنحنا أدوات جديدة لفهم الإنسان في لغته وفكره وثقافته.

المحاضرة الحادية عشر

نظريّة الطّراز

توطئة

تُعَدُّ نظرية الطراز في علم الدلالة من أبرز التحولات الفكرية التي شهدتها الدراسات اللغوية الحديثة. فقد انتقل الباحثون من التصنيف الصارم للمفاهيم بناءً على شروط ضرورية وكافية، إلى رؤية أكثر مرونة وديناميكية تعكس كيفية تصنيف العقل البشري للمفاهيم في الواقع اليومي. هذه النظرية لا تكتفي بالنظر إلى اللغة كبنية مجردة، بل تربطها بالتجربة الحسية والثقافية، وتكشف عن التداخل والتدرج في حدود المقولات والمعاني.

تهدف هذه المحاضرة إلى استكشاف الأسس النظرية لنظرية الطراز، وتحليل تطبيقاتها في اللغة والثقافة، مع الوقوف عند إسهاماتها وإشكالاتها، لنفهم كيف يعيد الإنسان بناء معانيه باستمرار في ضوء التغيرات الاجتماعية والثقافية والإدراكية.

المبحث الأول: الأسس النظرية لنظرية الطراز في علم الدلالة

تطورت نظرية الطراز من الثورة على الأرسطية إلى التطبيقات المعاصرة كما يلي:

1. النشأة التاريخية: من الأرسطية إلى الثورة المعرفية

1.1. المنظور الأرسطي التقليدي

اعتمدت الدلالة الكلاسيكية على نموذج **الشروط الضرورية والكافية** الذي صاغه أرسطو، حيث يُحدد انتماء العنصر إلى مقولة ما عبر استيفاء مجموعة ثابتة من الخصائص. على سبيل المثال، يُعتبر "الإنسان" كائنًا ناطقًا، فكل من يتوفر فيه شرط "النطق" ينتمي إلى مقولة "الإنسان"، وإلا فهو خارجها (Aristotle، 1999، p. 45).

1.2. التحول مع فتجنشتاين

قدّم **لودفيغ فتجنشتاين** في كتابه "بحوث فلسفية" (1953) مفهوم "**التشابه العائلي**"، الذي نقض فكرة الحدود الواضحة بين المقولات. فالمقولة – وفقًا له – ليست مجموعة عناصر متطابقة في الخصائص، بل عناصر مترابطة بشبكة من التشابهات الجزئية، مثل تشابه أفراد العائلة الواحدة (Wittgenstein، 1953، p. 32).

1.3. إرساء الأسس مع إليانور روش

أسست **إليانور روش** (1975) نظرية الطراز عبر تجاربها في علم النفس المعرفي، موضحةً أن المقولات تُبنى حول **عنصر طرازي** (Prototype) يتمتع بأعلى درجة من

التمثيلية، وتتدرج العناصر الأخرى حوله بناءً على تشابهها معه. على سبيل المثال، يُعد "العصفور" طرازًا لمقولة "الطير"، بينما يُعد "البطريق" عنصرًا هامشيًا (Rosch، 1975، p. 198).

2. المبادئ النظرية الجوهرية

2.1. الطراز (Prototype)

هو العنصر المركزي الذي يجسد الخصائص النموذجية للمقولة، ويُستخدم كمعيار ذهني لتقييم انتماء العناصر الأخرى. يُعرِّف **عبد الله صولة** الطراز بأنه "النموذج الأمثل الذي تتشكل حوله المقولات الذهنية" (صولة، 2001، ص. 120).

2.2. البنية الداخلية المتدرجة

تتميز المقولات ببنية غير متساوية:

- **عناصر طرازية:** تتمتع بأعلى درجة من التمثيلية (مثل "الوردة" لمقولة "الزهرة").
- **عناصر شبه طرازية:** تقل تمثيليتها تدريجيًا (مثل "الصبار").
- **عناصر هامشية:** تكاد تخرج عن نطاق المقولة (مثل "الطحلب") (Rosch، 1975، p. 203).

تشير البنية المتدرجة إلى أن انتماء العناصر إلى المقولة ليس ثنائيًا (نعم/لا)، بل يتدرج من الأكثر إلى الأقل تمثيلًا. ففي مقولة "الطير"، يُعد العصفور أكثر تمثيلًا (طرازًا) من البطريق، الذي يُصنف كعضو هامشي بسبب عدم قدرته على الطيران (روش، 1975، ص. 238). هذه التدرجية تعكس مرونة التصنيف البشري، حيث تُحدد درجة الانتماء بناءً على التشابه مع النموذج المركزي، وليس عبر شروط صارمة.

مثال تطبيقي: كلمة "كرسي" تُعتبر طرازًا لمَقولة "الأثاث"، بينما "مقعد حديقة" أقل تمثيلًا بسبب اختلاف الوظيفة والشكل (بن دحمان، 2012، ص. 72).

تفسر البنية المتدرجة الانزياحات الدلالية في اللغة، مثل استخدام "أسد" لوصف شخص شجاع، رغم عدم اشتراكهما في السمات البيولوجية.

تعجز عن تفسير المقولات المجردة (كـ"العدالة") التي تفتقر إلى نموذج مادي واضح (كليبير، 2016، ص. 372).

2.3. التشابه العائلي

لا تشترط النظرية اتحاد العناصر في خصائص مشتركة، بل تكفي شبكة من التشابهات الجزئية. فمقولة "اللعبة" – وفق فتجنشتاين – تضم ألعابًا مختلفة (كالشطرنج والكرة) دون خاصية واحدة جامعة (Wittgenstein، 1953، p. 67).

2.4. المقولة الأفقية والعمودية

أ. **المقولة العمودية (Vertical Categorization)**: تقسم المقولات إلى ثلاثة مستويات:

1. **المستوى الأعلى** (مثل: "حيوان") – عام ومجرد.
2. **المستوى القاعدي** (مثل: "كلب") – الأكثر استخدامًا في الحياة اليومية.
3. **المستوى الأدنى** (مثل: "كلب جيرمن شيبرد") – تفصيلي ومحدد.

تُظهر الدراسات أن الأطفال يكتسبون المستوى القاعدي أولًا لقربه من التجربة الحسية (روش، 1975، ص. 240).

ب. **المقولة الأفقية (Horizontal Categorization)**: تدرس العلاقات بين العناصر داخل المستوى الواحد. ففي مقولة "الطير"، يتفاوت تمثيل العناصر (العصفور vs النعامة) بناءً على التشابه مع الطراز (ويكيبيديا، 2023).

تكشف المقولة العمودية عن كيفية تنظيم المعرفة بشكل هرمي، بينما تبرز الأفقية مرونة التصنيف داخل المستوى الواحد.

يصعب تطبيق هذا التقسيم على المقولات الثقافية (مثل "الطعام اللذيذ") التي تختلف معاييرها بين المجتمعات (غيرتز، 1973، ص. 89).

2.5. الفروق بين النظرية الكلاسيكية ونظرية الطراز

نظرية الطراز	النموذج الكلاسيكي
يعتمد على التشابه مع نموذج مركزي.	يعتمد على سمات ضرورية وكافية.
حدود المقولات غامضة ومرنة.	حدود المقولات واضحة.
يربط اللغة بالإدراك البشري.	يفصل بين اللغة والواقع.

التحليل:

- **قوة نظرية الطراز:** تفسر ظواهر مثل "الانزياح الدلالي" (مثال: "رجل متوحش" لوصف شخص عدواني)، حيث يعتمد المعنى على التشابه مع طراز "الوحش" في الذهن.
- **ضعف النظرية الكلاسيكية:** تفشل في تفسير الانزياحات بسبب تمسكها بحدود جامدة (الحمزاوي، 2017، ص. 50).

3. النقد الموجه للنموذج الأرسطي

3.1. غموض الحدود

تفتقر المقولات الطبيعية إلى حدود واضحة. فمقولة "الشاب" تندمج تدريجيًا مع "الرجل" دون خط فاصل (Lakoff، 1987، p. 56).

لا تمتلك المقولات حدودًا واضحة، بل تتداخل مع مقولات مجاورة. فمثلاً، كلمة "طماطم" قد تُصنف كـ"فاكهة" علميًا، لكنها تُعتبر "خضار" في السياق اليومي (بن دحمان، 2012، ص. 80). تعقيد تطبيق هذه الفكرة في الأنظمة الاصطناعية التي تعتمد على قواعد صارمة (كليبير، 2016، ص. 375). تفسر الظواهر اللغوية التي ترفض التصنيف الثنائي، مثل الجملة: "هذا ليس سريرًا تمامًا، لكنه يشبه الأريكة".

3.2. المرونة السياقية

يتغير انتماء العنصر إلى المقولة حسب السياق. فـ"الطماطم" قد تُصنف كـ"فاكهة" في سياق علمي، وكـ"خضار" في السياق اليومي (Murphy، 2002، p. 89).

3.3. فشل الشروط الضرورية

لا يمكن تحديد شروط ضرورية وكافية لمعظم المقولات. فمحاولة تعريف "الكرسي" بخصائص ثابتة (كالجلوس) تفشل أمام تنوع الكراسي (صولة، 2001، ص. 125).

4. تطبيقات النظرية في علم الدلالة العربي

4.1. تحليل الانزياح الدلالي

استخدم منجي العمري نظرية الطراز لدراسة الانزياح في الشعر الجاهلي، موضحًا أن الاستعارة تُبنى على تشابه جزئي بين الطراز والمستعار له (العمري، 2016، ص. 34).

4.2. دراسة المعجم العربي

حلّل أحمد مختار عمر مقولة "الكتاب" في المعجم العربي، مشيرًا إلى أن العنصر الطرازي (الكتاب الورقي) يتآكل مع ظهور الكتب الرقمية، مما يغيّر البنية الدلالية للمقولة (عمر، 2010، ص. 112).

4.3. إشكالية الترجمة

تكشف النظرية صعوبة نقل المقولات ذات البنية الطرازية بين اللغات. فترجمة "كرم" إلى الإنجليزية تفقد دلالاتها المرتبطة بالثقافة العربية (يوسف وغليسي، 2022، ص. 105).

5. حدود النظرية وإسهاماتها الموسعة

5.1. النقد الموجه للنظرية

- **الاختلاف الثقافي:** قد يختلف الطراز بين الثقافات. فـ"الغنمة" قد تكون طرازًا لـ"الحيوان" في المجتمع الرعوي، بينما "الكلب" في المجتمع الحضري (Lakoff، 1987، p. 91).
- **التعقيد الحسابي:** تواجه تطبيقات الذكاء الاصطناعي صعوبة في محاكاة الطراز البشري بسبب مرونة التشابه العائلي (Bani Omar، 2023، p. 567).

5.2. النظرية الموسعة

قدّم جورج لايكوف (1987) مفهوم "النموذج المثالي" (Idealized Cognitive Models) لدمج العوامل الثقافية والجسدية في تشكيل المقولات، مثل ارتباط "الاتجاهات" (يمين/يسار) بتجربة الجسد في الفراغ (Lakoff، 1987، p. 68).

6. تقييم الإسهامات

- **الإيجابيات:** كسرت النظرية حتمية المنطق الأرسطي، وفسحت المجال لدراسة الدلالة كظاهرة مرنة.
- **السلبيات:** لا تقدم تفسيرًا كافيًا للتفاعل بين المقولات والذاكرة طويلة المدى.
- **توصيات مستقبلية**

1. تطوير نماذج رياضية تحاكي التشابه العائلي في معالجة اللغات الطبيعية.
2. دراسة تأثير الرقمنة على تحولات الطراز في المعجم المعاصر.
3. تعميق البحث في المقولات المركبة (مثل "العدالة") التي تجمع بين التجريد والحسية.

تقدم نظرية الطراز إطارًا ثريًا لفهم التفاعل بين اللغة والإدراك، لكنها لا تخلو من التحديات. فبينما تفسر مرونة التصنيف البشري، تعجز عن مواكبة التعقيدات التركيبية للغات الطبيعية. يتطلب التقدم في هذا الحقل تكاملًا مع مناهج مثل اللسانيات الوظيفية والدراسات الثقافية، خاصة في اللغة العربية التي تزخر بانزياحات تحتاج لدراسات موسعة.

المبحث الثاني: التطبيقات والإشكاليات في نظرية الطراز

1. التطبيقات اللسانية

أ. تحليل المعجم والانزياح الدلالي: تفسر نظرية الطراز الانزياحات الدلالية من خلال الانزياح عن النموذج الأولي. فمثلاً، كلمة "**أسد**" في العربية تُستخدم لوصف الشخص الشجاع، رغم أن الأسد الحيواني لا يشترك مع الإنسان في السمات البيولوجية، لكنه يُمثل "الطراز" للشجاعة في الثقافة العربية (الحمزاوي، 2017، ص. 45). Similarly، كلمة "**ثورة**" تحوّلت من دلالة فلكية (دوران النجوم) إلى سياسية (التغيير الجذري) بسبب الانزياح عن الطراز الأولي المرتبط بالحركة المادية (نعيجة، 2018، ص. 221).

تكشف النظرية عن مرونة اللغة في تشكيل المعاني الجديدة عبر الانزياحات، لكنها تعجز عن تفسير الانزياحات التي تتعارض كليًا مع السمات الأساسية للطراز (مثل استخدام "حجر" لوصف الإنسان القاسي، رغم عدم اشتراكهما في السمات المادية).

ب. دراسة الاستعارة التصورية: تربط نظرية الطراز بين الاستعارة اللغوية والبنى الذهنية. فاستعارة "الوقت مال" تعكس تصورًا ذهنيًا يربط الزمن بالثروة عبر التشابه الوظيفي (الإدارة والحفظ)، مما يُنتج تعابير مثل "اهدرت وقتي" أو "استثمرت الساعات" (بن دحمان، 2012، ص. 85).

تفترض النظرية أن الاستعارات عالمية، لكنها تتجاهل الاختلافات الثقافية. ففي بعض الثقافات الأفريقية، يُربط الزمن بالزراعة (مثل "الوقت بذرة")، مما يُظهر تنوعًا في التشكيل الذهني للمعنى (غيرتز، 1973، ص. 89).

ج. اللسانيات العربية: تُظهر الانزياحات في الشعر الجاهلي كيف أن "**الفرس**" كان طرازًا للشجاعة، بينما "الحمار" طرازًا للبلادة. هذه الانزياحات تعكس هرمية القيم في المجتمع الجاهلي (الحمزاوي، 2017، ص. 60).

تُثري النظرية دراسة التراث العربي، لكنها تواجه تحديًا في تطبيق مصطلحات غربية على نصوص قديمة، حيث تختلف أنظمة التصنيف الثقافية (ويكيبيديا، 2023).

2. التطبيقات عبر التخصصات

أ. علم النفس المعرفي: يدرس كيف يخزن الدماغ المفاهيم عبر النماذج الأولية. فمثلاً، عند سماع كلمة "فاكهة"، يسترجع الذهن صورة "التفاح" (الطراز) أسرع من "الزيتون" (العضو الهامشي) (روش، 1975، ص. 238).

تعتمد هذه الاستنتاجات على استبيانات ذاتية، مما يضعف مصداقيتها التجريبية (كليبير، 2016، ص. 372).

ب. الأنثروبولوجيا الثقافية: تختلف النماذج الأولية بين الثقافات. فـ"الطعام اللذيذ" في اليابان يرتبط بالأرز النيئ، بينما في المغرب يرتبط بالكسكس (غيرتز، 1973، ص. 102).

تكشف الدراسة عن دور الثقافة في تشكيل المعنى، لكنها تُهمل العوامل الاقتصادية (مثل تأثير الفقر على تصنيف "الطعام الجيد").

3. الإشكاليات النظرية والعملية

أ. إشكالية التركيب (Compositionality): تفشل النظرية في تفسير معاني المركبات اللغوية التي تتعارض مع الطراز. فمثلاً، عبارة "**سمك الحوت**" تدمج "الحوت" (الطراز للثدييات) مع "السمك" (المقولة البيولوجية)، مما يُناقض التصنيف الذهني (فودور، 1987، ص. 34).

ب. الانزياحات اللامتناهية: تتيح النظرية الانزياحات الدلالية، لكنها لا تحدّد مداها. فمتى تتحول "الكرة" من رمز للعب إلى رمز للعنف (كما في الاحتجاجات السياسية)؟ (بن دحمان، 2012، ص. 90).

تعتمد على استبيانات ذكية قد لا تعكس البنى الذهنية الحقيقية. فالإنسان قد يصنف "الخفاش" كطائر في الاستبيان، لكنه يعامله كثديٍّ في السياق العلمي (ويكيبيديا، 2023).

4. آفاق التطوير

أ. دمج الذكاء الاصطناعي: يمكن استخدام التعلم الآلي لمحاكاة تشكيل النماذج الأولية. فبرامج مثل ChatGPT تُظهر قدرة على توليد الانزياحات الدلالية بناءً على سياقات نصية (نعيجة، 2018، ص. 233).

ب. دراسات عربية معاصرة: مثال: تطور معنى "عيش" في اللهجات العربية من "الخبز" إلى "الحياة"، مما يعكس الانزياح عن الطراز الأولي تحت تأثير التحولات الاجتماعية (الحمزاوي، 2017، ص. 75).

رغم إسهامات نظرية الطراز في كسر الجمود التصنيفي، إلا أنها تظل نظريةً قيد التطوير. فبينما تنجح في تفسير المرونة الدلالية، تعجز عن مواكبة التعقيدات التركيبية والسياقية. يتطلب تعميق البحث تكاملًا بين المناهج العرفانية والوظيفية، خاصة في اللغة العربية التي تزخر بانزياحات تحتاج لدراسات موسعة تراعي الخصوصية الثقافية.

خلاصة ونتائج

أوضحت المحاضرة أن نظرية الطراز قدّمت إطارًا جديدًا لفهم التصنيف الدلالي، حيث لم يعد الانتماء إلى المقولات يقوم على حدود جامدة، بل على مدى التشابه مع نموذج مركزي أو طراز. أكدت المحاضرة أن هذه النظرية تفسر المرونة الكبيرة التي تتميز بها اللغة الطبيعية، وتشرح كيف تتغير المعاني وتنزاح عن طرازها الأصلي بتأثير الثقافة والسياق.

كما أظهرت التطبيقات اللسانية والثقافية أن الطراز ليس ثابتًا، بل يتشكل ويتغير عبر التجربة والتفاعل الاجتماعي. وبينت المحاضرة أن نظرية الطراز تساعد في كشف الانزياحات الدلالية والاستعارات التصورية، وتفسر اختلاف التصنيف بين الثقافات والأفراد.

ورغم إسهاماتها الكبيرة، بيّنت المحاضرة أن نظرية الطراز ما تزال تواجه تحديات في التعامل مع المقولات المجردة، وصعوبة ضبط حدود الانزياح الدلالي، والحاجة إلى تطوير أدوات منهجية تجمع بين التحليل الذهني والدقة العلمية. ومع ذلك، تظل هذه النظرية من أكثر المقاربات إلهامًا لفهم العلاقة بين اللغة والإدراك والثقافة، وتفتح آفاقًا واسعة أمام الدراسات اللغوية والإنسانية المعاصرة.

المحاضرة الثانية عشر

الدّلالة والسّيميائيات

توطئة

في مستهل هذه المحاضرة، نجد أنفسنا أمام موضوع بالغ الأهمية في الدراسات اللغوية والثقافية، وهو العلاقة بين الدلالة والسيميائيات. فاللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي منظومة معقدة من العلامات والدلالات تتداخل فيها أبعاد الفكر والثقافة والتاريخ. ومع تطور البحث العلمي، اتضح أن دراسة المعنى لا تقتصر على تحليل الكلمات والجمل، بل تتجاوز ذلك إلى فهم العلامات بأنواعها المختلفة، سواء أكانت لغوية أم بصرية أم رمزية، وكيفية إنتاجها وتلقيها وتأويلها في سياقات اجتماعية وثقافية متغيرة. من هنا، تأتي أهمية الجمع بين علم الدلالة والسيميائيات لفهم أعمق للمعنى الإنساني في كل تجلياته.

المبحث الأول: الأسس النظرية لعلم الدلالة والسيميائيات

1. النشأة والتطور التاريخي

نشأ علم الدلالة كفرعٍ مستقلٍّ من اللسانيات في أواخر القرن التاسع عشر مع اللغوي الفرنسي ميشيل بريال، الذي صاغ مصطلح "السيمانتيك" في كتابه "مقالة في السيمانتيك" (1897)، حيث ركز على تطور معاني الكلمات في اللغات الهندوأوروبية (بريال، 1897، ص. 15). إلا أن الجذور الفكرية للدرس الدلالي تعود إلى التراث العربي، حيث اهتم علماء اللغة بدراسة دلالات الألفاظ وارتباطها بالسياق، كما ظهر في أعمال الخليل بن أحمد في "كتاب العين" وابن جني في "الخصائص"، حيث حللوا الانزياحات الدلالية وربطوها بالسياق النحوي والاجتماعي (الحازمي، 2001، ص. 32).

في الغرب، مثّل فرديناند دي سوسير نقطة تحول بتفريقه بين الدال (الصورة الصوتية) والمدلول (المفهوم الذهني)، معتبرًا العلاقة بينهما اعتباطية تخضع للاتفاق الاجتماعي (سوسير، 1916، ص. 67). بينما حاول ليونارد بلومفيلد ربط الدلالة بالسلوك الظاهري (المثير والاستجابة)، متأثرًا بالاتجاه السلوكي في علم النفس، لكنه فشل في تفسير المعاني المجردة (بلومفيلد، 1933، ص. 139).

أما السيميائيات، فقد تبلورت مع تشارلز ساندرس بيرس، الذي ميز بين ثلاثة أنواع من العلامات: الأيقونة (تشبه المرجع، كالصورة)، والرمز (علاقة اعتباطية، كالكلمات)، والدليل (علاقة سببية، كالدخان دليل على النار) (بيرس، 1931، ص. 112). في حين ركز

سوسير على العلامات اللغوية، معتبرًا السيميولوجيا علمًا يدرس العلامات في الحياة الاجتماعية (سوسير، 1916، ص. 33).

نقد:

- إسهام بريال: نقل الدراسة من الفلسفة إلى العلم، لكنه تجاهل التفاعل بين اللغة والثقافة (بريال، 1897، ص. 20).
- ثنائية سوسير: أسست للتحليل البنيوي، لكنها أغفلت دور السياق الخارجي (الحازمي، 2001، ص. 45).

2. المفاهيم الأساسية

- **الدلالة الوضعية:** العلاقة بين اللفظ ومعناه المُتفق عليه اجتماعيًا، مثل دلالة كلمة "كتاب" على المُجلد الورقي (عمر، 1982، ص. 22).
- **الدلالة العقلية:** التصور الذهني للمعنى، كربط كلمة "حب" بمشاعر الود (أنيس، 1958، ص. 48).
- **الدلالة السياقية:** تغير معنى الكلمة بحسب موقعها في الجملة، فكلمة "عين" قد تعني العضو البصري أو ينبوع الماء (مجاهد، 1985، ص. 75).

في السيميائيات، تُعرف **العلامة** بأنها اتحاد الدال (الشكل المادي) والمدلول (المفهوم الذهني). فكلمة "شجرة" دالها الصوتي /ʃaɾagaʃ/، ومدلولها التصور الذهني للشجرة (سوسير، 1916، ص. 98). بينما يضيف بيرس مفهوم **المؤول**، أي التأويل الذهني للعلامة، فالدخان (دليل) يُؤول إلى وجود نار (بيرس، 1931، ص. 115).

تعاني السيميائيات من عمومية المفهوم، مما يعيق تطبيقها التجريبي (إيكو، 1976، ص. 50). تفسر السيميائيات العلامات غير اللغوية (كالإشارات المرورية)، بينما تركز الدلالة على اللغة.

3. العلاقة بين الدلالة والسيميائيات

تتقاطع الدلالة مع السيميائيات في دراسة العلامات، لكن الأولى تخصصية (اللغة)، والثانية عامة (كل أنواع العلامات). فالدلالة تُعنى بكيفية حمل الكلمات للمعنى، بينما تبحث السيميائيات في أنظمة العلامات كالملابس أو الطقوس (بارت، 1964، ص. 22).

مثال: كلمة "ورد" تحمل دلالة نباتية (الدلالة)، لكن لون الوردة الأحمر في الثقافة يُشير إلى الحب (السيميائيات) (فاخوري، 1985، ص. 89).

تكامل المنهجين يثري دراسة الخطاب، لكنه يخلق إشكالية في تحديد الحدود بينهما (إيكو، 1976، ص. 60).

4. النظريات الدلالية الحديثة

- **نظرية الحقول الدلالية:** تجمع الكلمات ذات السمات المشتركة، مثل حقل "الخوف" (خَشِيَ، رَهِبَ) (ابن جني، 2001، ص. 112).
- **النظرية السياقية:** يُحدد المعنى من خلال السياق اللغوي والاجتماعي، فكلمة "بارد" تعني الطقس أو التعليق الساخر حسب الموقف (فيرث، 1957، ص. 190).
- **النظرية التحليلية:** تفكك الكلمات إلى مكونات دلالية، فكلمة "أخ" = [+ذكر، +شقيق] (كاتز وفورد، 1963، ص. 34).

تقدم النظرية السياقية تفسيرًا ديناميكيًا، لكنها تعجز عن وضع قواعد عامة (مجاهد، 1985، ص. 80).

5. الإسهامات العربية في علم الدلالة

اهتم العرب بالدلالة منذ القرن الثاني الهجري، حيث حلل الجرجاني الانزياح الدلالي في "دلائل الإعجاز"، وربط بين اللفظ والسياق (الجرجاني، 1985، ص. 67). كما صنف ابن سيده المفردات في "المخصص" حسب الحقول الدلالية، مثل حقل "الطعام" (ابن سيده، 1996، ص. 122).

سبق العرب الغرب في دراسة الانزياح، لكنهم لم يبلوروا نظرية منهجية (الحازمي، 2001، ص. 55).

يكشف التطور التاريخي لعلم الدلالة والسيميائيات عن مسارين متوازيين: أحدهما يركز على اللغة، والآخر على العلامات عامة. ورغم الاختلافات، يظل التكامل بينهما ضروريًا لفهم آليات إنتاج المعنى في التواصل الإنساني. فالدلالة تمنحنا أدوات لتحليل النصوص، بينما توسع السيميائيات آفاق الدراسة لتشمل الفنون والثقافة. ومع ذلك، تبقى التحديات قائمة، مثل ضبط الحدود بين الحقلين، ومواكبة التطورات الرقمية التي تفرض أنماطًا جديدة من العلامات.

المبحث الثاني: تطبيقات الدلالة والسيميائيات

عندما نتأمل في نشأة السيميائيات، ندرك أنها لم تظهر دفعة واحدة، بل تشكلت عبر سلسلة من التحولات الفكرية التي بدأت منذ الفلسفة اليونانية، وتبلورت بشكل علمي في القرن

العشرين. لقد كان أفلاطون وأرسطو من أوائل من أشاروا إلى فكرة العلامة، حيث رأى أفلاطون أن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة طبيعية، بينما اعتبر أرسطو أن الأصوات رموز لحالات نفسية، وأن العلامات اللغوية ليست واحدة عند جميع البشر، لكن حالات النفس التي تعبر عنها متشابهة بينهم (إيكو، 1985، ص. 17).

هذا الجدل المبكر حول طبيعة العلامة والمعنى ظل حاضرًا في الفكر الغربي حتى جاء فرديناند دي سوسير ليضع الأساس النظري لما سماه "علم العلامات" أو السيميولوجيا، معرفًا إياه بأنه العلم الذي يدرس حياة العلامات في صلب الحياة الاجتماعية، ومؤكدًا أن العلامة اللغوية تتكون من دال ومدلول يرتبطان بعلاقة اعتباطية تحددها الأعراف الاجتماعية (سوسير، 1916، ص. 33).

مع تطور الفكر النقدي، ظهر تيار جديد في النصف الثاني من القرن العشرين، خاصة مع أعمال شارل ساندرس بيرس في أمريكا، الذي أسس السيميائيات بوصفها علمًا عامًا للعلامات، وجعلها قائمة على المنطق والفلسفة الظاهراتية والرياضيات، حيث رأى أن العلامة ليست مجرد علاقة ثنائية بين دال ومدلول، بل هي علاقة ثلاثية بين المصورة (الحامل المادي للعلامة)، والمفسرة (الصورة الذهنية أو التأويل)، والموضوع (الشيء المشار إليه)، وأضاف مفهوم الركيزة، أي طريقة الإحالة التي تتجه إليها العلامة (بيرس، 1931، ص. 112).

هذا التصور الثلاثي للعلامة أتاح للسيميائيات أن تتجاوز حدود اللغة إلى كل أنساق العلامات في الحياة الإنسانية، من الإشارات المرورية إلى الرموز الثقافية والفنية.

من هنا، أصبحت السيميائيات علماً يهتم بكل ما ينتمي إلى التجربة الإنسانية اليومية شرط أن يكون جزءًا من سيرورة دلالية، أي أن كل مظاهر الوجود الإنساني يمكن أن تشكل موضوعًا للسيميائيات ما دامت تدخل في شبكة من العلاقات الدلالية (إيكو، 1985، ص. 22).

ولهذا السبب يصعب وضع تعريف جامع مانع للسيميائيات، فهي تظل فضاءً مفتوحًا للتحليل والمساءلة، وتجمع بين مقاربات فلسفية ولسانية وسوسيولوجية ونفسية، وتتحاشى الاكتمال النهائي أو الهيمنة الإيديولوجية على الخطابات (عبد السلام المسدي، 1980، ص. 11).

عندما ننظر إلى أقسام العلامات في السيميائيات، نجد أن بيرس قسم العلامات إلى ثلاثة أنواع رئيسية: الأيقونة، وهي العلامة التي تحيل إلى موضوعها بفضل التشابه (كالصور الفوتوغرافية أو الرسوم)، والمؤشر، وهو العلامة التي تحيل إلى موضوعها بفضل علاقة السببية أو المجاورة (كالدخان علامة على النار)، والرمز، وهو العلامة التي تحيل إلى موضوعها بفضل الاصطلاح أو الاتفاق الاجتماعي (كالكلمات أو إشارات المرور) (بيرس، 1931، ص. 130).

هذا التصنيف أتاح للسيميائيات أن تدرس العلامات اللغوية وغير اللغوية على السواء، وأن تفسر كيف تكتسب الأشياء في العالم معانيها عبر أنظمة دلالية متداخلة.

في المقابل، طورت السيميائيات اللسانية مع سوسير مفاهيم مثل اعتباطية العلامة، والقيمة، والتقابل، والتركيب والاستبدال، وأكدت أن المعنى لا يوجد في العلامة نفسها بل في علاقتها بالعلامات الأخرى ضمن النسق اللغوي (سوسير، 1916، ص. 120).

وقد أثر هذا التصور البنيوي في النقد الأدبي، حيث أصبح تحليل النصوص الأدبية يعتمد على تفكيك أنساق العلامات والعلاقات بينها، وليس فقط على تفسير الرموز أو البحث عن المعنى خارج النص (بارت، 1964، ص. 49).

من القضايا المركزية في السيميائيات أيضًا مفهوم السيميوزيس (miosisse)، أي الصيرورة الدلالية أو إنتاج المعنى بشكل لا نهائي. فالعلاقة بين العلامة وموضوعها ليست ثابتة، بل تتغير باستمرار بحسب التأويلات المتعددة التي ينتجها المتلقي، وهو ما يجعل الدلالة في السيميائيات عملية ديناميكية مفتوحة وليست معطى نهائيًا (إيكو، 1985، ص. 65).

وقد أدى هذا التصور إلى ظهور اتجاهات متعددة في السيميائيات، مثل سيمياء التواصل، وسيمياء الدلالة، وسيمياء الثقافة، وسيمياء الصورة والسرد، وكلها تركز على دراسة العلامات في سياقاتها المتنوعة.

عندما نحلل تطبيقات السيميائيات، نجد أنها أثرت بعمق في النقد الأدبي والفني، إذ لم تعد العلامة محصورة في اللغة، بل شملت كل ما هو مرئي أو مسموع أو محسوس، من اللوحات التشكيلية إلى الأزياء والعمارة والإعلانات التجارية. وقد أصبح الناقد السيميائي يبحث في كيفية إنتاج المعنى عبر تداخل العلامات وتفاعلها، ويحلل النصوص بوصفها

شبكات دلالية معقدة تتجاوز حدود اللغة إلى الفضاء الثقافي والاجتماعي (عبد السلام المسدي، 1980، ص. 58).

هذا التوسع في مجال السيميائيات أتاح لها أن تتداخل مع علوم أخرى مثل علم الاجتماع، وعلم النفس، والأنثروبولوجيا، وفتح أمامها آفاقًا جديدة لفهم الظواهر الثقافية والرمزية.

غير أن هذا الاتساع في مجال السيميائيات جلب معه تحديات نظرية ومنهجية، فهناك من يرى أن السيميائيات تعاني من عمومية المفهوم، وصعوبة تحديد موضوعها بدقة، إذ يمكن أن تصبح كل تجربة إنسانية قابلة للتحليل السيميائي، مما يهدد بفقدان التخصص والصرامة العلمية (إيكو، 1985، ص. 120).

كما أن تعدد المدارس السيميائية، بين السيميولوجيا الأوروبية والسيميوطيقا الأمريكية، وبين سيمياء التواصل وسيمياء الدلالة، أدى إلى تشتت المفاهيم واختلاف المصطلحات، ما يجعل من الصعب بناء نظرية موحدة للعلامة (عبد السلام المسدي، 1980، ص. 74).

من جهة أخرى، واجهت السيميائيات انتقادات من بعض الاتجاهات النقدية، خاصة تلك التي ترى أن التركيز المفرط على العلامة قد يؤدي إلى إهمال السياق التاريخي والاجتماعي للنصوص، أو إلى تجاهل البعد الذاتي للمتلقي في إنتاج المعنى. وقد حاول بعض المنظرين تجاوز هذه الإشكالات من خلال تطوير مفاهيم مثل التأويل، والدلالة المفتوحة، والسيميوزيس اللامتناهي، مؤكدين أن المعنى لا يُختزل في العلامة بل يتولد من تفاعل العلامات مع السياق والثقافة والتجربة الفردية (بارت، 1964، ص. 92).

في ضوء هذه التطورات، يمكن القول إن السيميائيات اليوم لم تعد مجرد منهج لتحليل النصوص الأدبية أو العلامات اللغوية، بل أصبحت إطارًا نظريًا شاملاً لدراسة كل أشكال التواصل والمعنى في المجتمعات الحديثة. فهي تتيح للباحث أن يفهم كيف تُنتج العلامات معانيها، وكيف تتغير دلالتها بتغير السياق، وكيف تتداخل أنساق العلامات في بناء الثقافة والهوية. ومع ذلك، تظل السيميائيات في حاجة دائمة إلى مراجعة مفاهيمها وتجديد أدواتها، حتى تظل قادرة على مواكبة التحولات المتسارعة في أنماط التواصل والثقافة.

في نهاية هذا المبحث، يتضح أن السيميائيات تمثل اليوم أحد أهم الحقول المعرفية في دراسة الدلالة والمعنى، وأنها وفرت للباحثين أدوات قوية لتحليل النصوص والظواهر الثقافية، لكنها في الوقت نفسه تطرح تحديات نظرية ومنهجية تتطلب مزيدًا من البحث والنقد

والتطوير. إن قوة السيميائيات تكمن في قدرتها على الربط بين اللغة والثقافة، بين العلامة والمعنى، بين الفرد والمجتمع، وهو ما يجعلها مجالًا خصبًا للتأمل والتحليل في الدراسات الإنسانية المعاصرة.

خلاصة ونتائج

وقد أظهرت المحاضرة أن علم الدلالة يشكل الأساس النظري لفهم كيفية تشكل المعنى في اللغة، من خلال دراسة العلاقة بين اللفظ والمعنى والسياق. كما تبين أن السيميائيات وسعت هذا الأفق لتشمل كل أنساق العلامات، مؤكدة أن المعنى لا يوجد في الكلمات وحدها، بل في كل ما يمكن أن يحمل دلالة في الحياة الإنسانية. وقد أوضح التحليل أن التكامل بين الدلالة والسيميائيات يمنح الباحث قدرة أكبر على تفسير النصوص والخطابات والظواهر الثقافية، ويكشف عن مرونة المعنى وتغيره عبر الزمن والثقافات.

وفي الوقت نفسه، بينت المحاضرة أن هذا التكامل يطرح تحديات نظرية ومنهجية، مثل صعوبة ضبط الحدود بين الحقلين، وضرورة مراعاة السياق الثقافي والاجتماعي في فهم العلامات. ومع ذلك، فإن الجمع بين الدلالة والسيميائيات يظل من أنجع السبل لفهم الإنسان في لغته وثقافته، ولفتح آفاق جديدة أمام البحث اللغوي والنقدي في العصر الحديث.

المحاضرة الثالثة عشر

الدّلالة والتّداوليات 1

توطئة

في بداية هذه المحاضرة، نقف أمام واحد من أكثر موضوعات اللسانيات المعاصرة إثارة وجدلاً، وهو العلاقة بين الدلالة والتداوليات. فاللغة ليست مجرد نظام من العلامات والمعاني الثابتة، بل هي فعل تواصلي ديناميكي يتشكل معناه في ضوء السياق والمقام ومقاصد المتكلمين. إن فهمنا للمعنى لم يعد يقتصر على ما تحمله الكلمات من دلالات معجمية أو تركيبية، بل أصبح يشمل أيضًا ما تضيفه الظروف الاجتماعية والثقافية والنوايا الفردية إلى كل قول أو نص. من هنا تنبع أهمية الجمع بين الدلالة، التي تهتم ببنية المعنى، والتداوليات، التي تضيء أبعاد الاستعمال والتأويل في كل تواصل إنساني.

المبحث الأول: الأسس النظرية للتداوليات

1. النشأة التاريخية والفكرية للتداوليات

نشأت التداوليات كفرعٍ من فروع اللسانيات الحديثة في النصف الثاني من القرن العشرين، لكن جذورها الفكرية تعود إلى الفلسفة اليونانية، حيث ناقش أفلاطون وأرسطو العلاقة بين اللغة والواقع. في العصر الحديث، بدأ التأسيس العلمي للتداوليات مع الفيلسوف **تشارلز موريس**، الذي قسم السيميائيات إلى ثلاثة أقسام: النحو (العلاقة بين العلامات)، والدلالة (العلاقة بين العلامات ومعانيها)، والتداولية (العلاقة بين العلامات ومستخدميها) (موريس، 1938، ص. 6). لكن التحول الحقيقي حدث مع **جون أوستين** و**جون سيرل**، اللذين طورا نظرية أفعال الكلام، و**بول غرايس** الذي قدم مفهوم "الاستلزام الحواري" (جرايس، 1975، ص. 45).

في السياق العربي، يمكن تلمّس إرهاصات التداولية في أعمال علماء اللغة القدامى مثل **سيبويه**، الذي ربط بين البنية النحوية ومقاصد المتكلم، و**عبد القاهر الجرجاني**، الذي أكد أن المعنى لا يُفهم إلا بمراعاة السياق والعلاقة بين المتكلم والمخاطب (الحازمي، 2001، ص. 89).

نقد:

- إسهامات الغرب: أسست لنموذج منهجي لفهم اللغة في الاستخدام، لكنها تجاهلت السياقات الثقافية غير الغربية.
- الإرث العربي: قدم رؤى ثرية عن المقصدية والسياق، لكنه لم يُنظَّر كعلم مستقل.

2. المبادئ الأساسية للتداوليات

ترتكز التداوليات على فكرة أن المعنى لا يُستمد من العلامات اللغوية وحدها، بل من تفاعلها مع السياق والمقام. من أبرز مبادئها:

- **أفعال الكلام (Speech Acts)**: ميز أوستين بين ثلاثة مستويات للكلام:

أ- **العمل القولي (Locutionary Act)**: قول شيء ما (مثل: "الجو بارد").

ب- **العمل الإنجازي (Illocutionary Act)**: القصد من الكلام (مثل: طلب إغلاق النافذة).

ج- **العمل التأثيري (Perlocutionary Act)**: الأثر الناتج عن الكلام (مثل: إغلاق النافذة) (أوستين، 1962، ص. 102).

- **الاستلزام الحواري (Implicature)**: المعنى الضمني الذي يفهمه السامع دون تصريح، كقولك "أنا جائع" لطلب الطعام (جرايس، 1975، ص. 50).
- **السياق (Context)**: يشمل الزمان، المكان، العلاقة بين المتكلمين، والمعرفة المشتركة. فجملة "السماء تمطر" قد تعني الفرح للمزارع، والإزعاج لمرتاد البحر (عبد الرحمن، 1998، ص. 77).

تفسر التداولية ظواهر لغوية معقدة مثل السخرية والمجاز، لكنها تعتمد على افتراضات قد لا تنطبق على جميع الثقافات. لكن يصعب تطبيق نظرية أفعال الكلام على اللغات ذات التراكيب النحوية الصارمة مثل العربية الفصحى.

3. التمييز بين الدلالة والتداولية

تهتم **الدلالة (Semantics)** بدراسة المعنى الثابت للكلمات والجمل بمعزل عن السياق، مثل تعريف كلمة "كتاب" بأنه "مجلد ورق". أما **التداولية (Pragmatics)** فتركّز على كيفية استخدام اللغة في الواقع، فكلمة "كتاب" قد تعني في سياق ما "مصدر معرفة" أو "هدية غير مرغوب فيها" (ليفينسون، 1983، ص. 32).

مثال تطبيقي: جملة "هل يمكنك إغلاق الباب؟" تحمل دلالة استفهامية، لكنها تداولياً تعني طلبًا (سيرل، 1969، ص. 66).

يكشف هذا التمييز عن ثراء اللغة، لكنه يطرح إشكالية في الفصل العملي بين الحقلين، إذ تتداخل الدلالة والتداولية في معظم النصوص.

4. دور السياق في إنتاج المعنى

السياق ليس مجرد إطار خارجي، بل عنصر جوهري في تشكيل الدلالة. ينقسم إلى:

- **السياق اللغوي:** الكلمات المحيطة بالجملة (كأن يُفهم معنى "بارد" في جملة "العلاقة أصبحت باردة").
- **السياق غير اللغوي:** يشمل الزمان، المكان، والإيماءات (كالإشارة إلى الساعة عند قول "تأخرت") (عبد السلام المسدي، 1980، ص. 112).

يُمكّن السياق من تفسير الانزياحات الدلالية، لكنه يصعب ضبطه منهجيًا بسبب تعدد متغيراته.

5. الإسهامات العربية في التداولية

رغم أن التداولية نشأت في الغرب، إلا أن التراث العربي يحوي إشارات مبكرة لمفاهيمها:

- **سيبويه:** ناقش تأثير النية على البنية النحوية، مثل حذف المفعول به إذا كان المقصود معلومًا (سيبويه، القرن 8، ص. 145).
- **الجرجاني:** ربط بين البلاغة ومقاصد المتكلم، كاستخدام الاستعارة للتأثير العاطفي (الجرجاني، القرن 11، ص. 200).

تُظهر هذه الإسهامات وعيًا مبكرًا بأهمية السياق والمقصدية، لكنها تحتاج لإعادة قراءة عبر المناهج الحديثة.

أحدثت التداولية ثورة في فهم اللغة بوصفها أداة تفاعلية، وكشفت عن محدودية النظريات الدلالية التقليدية. ورغم نجاحها في تفسير ظواهر مثل الاستلزام الحواري وأفعال الكلام، إلا أنها تواجه تحديات في التوظيف السياقي الشامل، خاصة في اللغات ذات الخصوصيات الثقافية مثل العربية. يظل التكامل بين الدلالة والتداولية ضروريًا لفك شفرات التواصل الإنساني، مع الحاجة إلى تطوير أدوات تحليلية تراعي التنوع اللغوي والثقافي.

المبحث الثاني: تقاطع الدلالة مع التداوليات وتفاعلها معها

1. مفهوم الدلالة التداولية وحدودها

عندما نتأمل في العلاقة بين الدلالة والتداوليات، نكتشف أن الدلالة التداولية تمثل نقطة التقاء بين المعنى الثابت والمعنى المتغير في اللغة. فالدلالة التداولية تُعنى بدراسة المعنى الذي يتولد من تفاعل العلامة مع السياق والمقام، أي كيف تتغير دلالة الكلمات والتراكيب بتغير الظروف المحيطة أو النوايا أو حتى الإشارات غير اللفظية (نحلة، 2018، ص. 17). هذا المفهوم يبرز أهمية السياق في إنتاج المعنى، ويكشف أن المعنى ليس معطى سكونيًا، بل هو ديناميكي يتجدد مع كل استعمال.

التحليل هنا يكشف أن الدلالة التداولية تملأ فجوة كبيرة تركتها الدلالة التقليدية، فهي تفسر كيف يمكن لجملة واحدة أن تحمل معاني مختلفة بحسب المقام، كما في قولك "جميل هذا الجو" الذي قد يكون تعبيرًا عن الإعجاب أو السخرية أو دعوة للخروج حسب السياق (عبد الرحمن، 1998، ص. 77). غير أن هذا الاتساع يجعل من الصعب رسم حدود دقيقة للدلالة التداولية، إذ تتداخل مع مجالات أخرى مثل البلاغة والتحليل الخطابي.

النقد الموجه لهذا المفهوم يتمثل في أن بعض الباحثين يرون أن الدلالة التداولية قد تصبح فضفاضة إذا لم تُضبط بمحددات منهجية واضحة، خاصة مع تداخلها مع مفاهيم مثل الاستلزام الحواري والمقصدية.

2. المدارس النظرية في علاقة الدلالة بالتداوليات

برز جدل كبير بين اللسانيين حول ما إذا كانت التداولية جزءًا من علم الدلالة أم حقلًا مستقلاً. المدرسة الأولى ترى أن التداولية مدمجة في الدلالة، وأن كل معنى تداولي هو في النهاية جزء من نظام المعنى الكلي للغة، وأن فهم أي قول لا يكتمل إلا بفهم دواعي إلقائه ومقام التلفظ، كما أشار إلى ذلك أوزفالد ديكرو (بوجادي، 2016، ص. 149). أما المدرسة الثانية، فترى أن التداولية منفصلة عن الدلالة، وأنها تدرس ما هو خارج عن النظام اللغوي، أي كل ما يتعلق بالمقاصد والظروف والسياقات التي لا يمكن للنظام وحده أن يفسرها.

هذا الجدل لم يُحسم بعد، إذ أن كثيرًا من الظواهر اللغوية تقع في المنطقة الرمادية بين الدلالة والتداولية، مثل الاستلزام الحواري عند بول غرايس، الذي يُعد رسالة مضمرة يريد المتكلم إيصالها إلى المخاطب بطريقة غير مباشرة لغرض تداولي قصده (غرايس، 1975، ص. 50).

التحليل هنا يبين أن كلا المدرستين لهما وجاهة، فهناك ظواهر لغوية لا يمكن تفسيرها إلا تداوليًا، وأخرى تظل ضمن حدود الدلالة، لكن الواقع اللغوي يفرض التكامل لا الفصل.

3. مجالات التفاعل بين الدلالة والتداوليات

التفاعل بين الدلالة والتداوليات يتجلى في العديد من الظواهر اللغوية، مثل أفعال الكلام، المجاز، السخرية، الاستلزام الحواري، الاقتضاء، والتأويل. فعندما يقول شخص "هل يمكنك إغلاق الباب؟"، فدلاليًا هو سؤال عن القدرة، أما تداوليًا فهو طلب مباشر (سيرل، 1969، ص. 66). في المجاز والسخرية، نجد أن الدلالة الحرفية قد تكون معروفة، لكن المعنى التداولي لا يُفهم إلا في ضوء السياق والنوايا، كما في قول أحدهم "يا لك من عبقري!" في موقف فشل فيه المخاطب، حيث تتحول العبارة إلى سخرية لا يمكن للدلالة التقليدية وحدها تفسيرها (نحلة، 2018، ص. 23).

التحليل هنا يؤكد أن كثيرًا من المعاني لا تُستخلص من البنية اللغوية وحدها، بل من تفاعلها مع السياق، وهو ما يجعل التداولية ضرورة لفهم اللغة في الاستعمال الفعلي.

النقد الموجه لهذا التفاعل هو أن بعض الظواهر تظل عصية على الضبط المنهجي، إذ يصعب وضع قواعد عامة للسياق أو المقصدية، كما أن التأويل قد يصبح مفتوحًا بلا حدود.

4. الإشكاليات النظرية والمنهجية في العلاقة بين الدلالة والتداوليات

من أهم الإشكاليات النظرية في العلاقة بين الدلالة والتداوليات حدود كل منهما في تفسير المعنى. فهل يمكن للدلالة أن تفسر كل جوانب المعنى دون اللجوء إلى التداولية؟ وهل التداولية قادرة على وضع قواعد عامة لتحليل المعنى أم أن خصوصية السياق تجعلها دائمًا رهينة الحالات الفردية؟ كثير من الباحثين يرون أن التكامل بين الحقلين هو الحل، إذ أن الدلالة توفر الأساس البنيوي للمعنى، بينما تمنح التداولية القدرة على تفسير الانزياحات والتغيرات التي يفرضها الاستعمال الفعلي للغة (لوصيف، 2006، ص. 13).

إشكالية أخرى تتعلق بالبحث العربي في هذا المجال، حيث تظل الدراسات العربية في الدلالة التداولية محدودة، وغالبًا ما تقتصر على النقل أو التلخيص دون تطوير أدوات تحليلية أصيلة تراعي خصوصية اللغة والثقافة العربية (بوجادي، 2016، ص. 153).

التحليل هنا يكشف أن تجاوز هذه الإشكاليات يتطلب تطوير منهجيات تحليلية تجمع بين الدقة البنيوية والانفتاح على السياق، مع الاستفادة من التراث البلاغي العربي الغني بمفاهيم المقصدية والسياق والمعنى النفسي.

5. تطبيقات عملية على تفاعل الدلالة والتداوليات في العربية

عند تحليل النصوص العربية، يتضح أن كثيرًا من الظواهر اللغوية لا يمكن فهمها إلا من خلال منظور تداولي. ففي التراث البلاغي العربي، تحدث الجرجاني عن "معاني النفس" وربطها بغرض الناطق، وأشار إلى أن التقديم والتأخير أو الحذف والذكر في الجملة تحكمه مقاصد المتكلم وليس النظام اللغوي فقط (الجرجاني، القرن 11، ص. 200). كما أن كثيرًا من الأمثال والأقوال الشائعة تحمل دلالة حرفية وأخرى تداولية، لا تُفهم إلا في سياقها الثقافي والاجتماعي.

التحليل هنا يبين أن اللغة العربية تزخر بانزياحات دلالية وتداولية، وأن فهمها يتطلب تكامل الحقلين، خاصة في النصوص الأدبية أو الخطابية أو الإعلامية التي تعتمد على الإيحاء والتلميح والتلاعب بالمعنى.

النقد الموجه لهذا الجانب هو أن كثيرًا من الدراسات العربية ما تزال حبيسة التحليل الدلالي التقليدي، وتحتاج إلى انفتاح أوسع على المناهج التداولية الحديثة.

6. آفاق البحث في العلاقة بين الدلالة والتداوليات

تؤكد الدراسات الحديثة أن التكامل بين الدلالة والتداولية هو السبيل لفهم أعمق للغة بوصفها نظامًا ديناميكيًا يعكس تعقيدات الفكر والثقافة والتواصل الإنساني. البحث في هذا المجال يحتاج إلى مزيد من الجهد لتطوير أدوات تحليلية تراعي خصوصية اللغة والثقافة العربية، وتستفيد من المنجزات العالمية دون أن تفقد أصالتها (بوجادي، 2016، ص. 157).

التحليل هنا يشير إلى أن المستقبل البحثي في هذا الحقل واعد، خاصة مع تطور الدراسات البينية، وظهور مناهج جديدة في تحليل الخطاب والتواصل الرقمي.

النقد هنا أن هذا التكامل قد يواجه مقاومة من بعض الاتجاهات التقليدية، لكنه يظل ضرورة علمية لفهم اللغة في عصر تتسارع فيه أنماط التواصل وتتعقد فيه العلاقات الدلالية والتداولية.

يتضح من هذا العرض أن العلاقة بين الدلالة والتداولية ليست علاقة تنافر أو قطيعة، بل هي علاقة تفاعل وتكامل. فالدلالة تضع الأساس البنيوي للمعنى، والتداولية تمنحه الحياة والحركة في الاستعمال الفعلي. وإن كان الجدل ما يزال قائمًا حول حدود كل منهما، فإن الدراسات الحديثة تؤكد أن التكامل بينهما هو السبيل لفهم أعمق للغة بوصفها نظامًا ديناميكيًا يعكس تعقيدات الفكر والثقافة والتواصل الإنساني. ولا شك أن البحث العربي في

هذا المجال يحتاج إلى مزيد من الجهد لتطوير أدوات تحليلية تراعي خصوصية اللغة والثقافة العربية، وتستفيد من المنجزات العالمية دون أن تفقد أصالتها.

خلاصة ونتائج

أظهرت المحاضرة أن الدلالة والتداوليات يمثلان مجالين متكاملين لا يمكن لأي منهما أن يستقل وحده بفهم المعنى في اللغة. فالدلالة تضع الأساس البنيوي للمعنى، وتحدد ما تعنيه الكلمات والتراكيب في ذاتها، بينما تمنح التداوليات هذا المعنى بعده الحي والمتجدد في ضوء السياق والمقام. كما تبين أن كثيرًا من الظواهر اللغوية، كالمجاز والسخرية وأفعال الكلام والاستلزام الحواري، لا يمكن تفسيرها تفسيرًا كافيًا إلا من خلال منظور تداولي يأخذ في الحسبان النوايا والمعرفة المشتركة والظروف المحيطة.

وقد اتضح كذلك أن الجدل النظري حول حدود كل من الدلالة والتداوليات ما يزال قائمًا، وأن التكامل بينهما هو السبيل لفهم اللغة في تعقيدها وغناها. وتبرز الحاجة الملحة في البحث العربي إلى تطوير أدوات تحليلية أصيلة تستفيد من التراث البلاغي وتواكب مناهج البحث العالمية، حتى يكون تحليل المعنى في اللغة العربية أكثر دقة وعمقًا وملاءمة لعصر تتسارع فيه أنماط التواصل وتتعقد فيه العلاقات بين الدال والمدلول والمقام.

المحاضرة الرابعة عشر

الدّلالة والتّداوليات2

التوطئة

في عالمٍ تزداد فيه تعقيدات التواصل الإنساني، تبرز العلاقة بين الدلالة والتداولية كمدخلٍ أساسي لفكِّ شفرة المعنى في اللغة. فبينما تنشغل الدلالة ببحث المعنى المجرد للكلمات والتراكيب، تتجاوز التداولية هذا الإطار لتنغمس في سياقات الاستعمال الحية، حيث تتشكل الدلالات عبر تفاعل النص مع مقاصد المتكلم ومعطيات الواقع. يكتسب هذا الحقل أهمية استثنائية في دراسة الخطاب الديني، الذي لا ينفصل فيه المعنى الحرفي عن الطبقات الرمزية والمقاصدية، كما يطرح العصر الرقمي إشكالاتٍ جديدةً تدفعنا لإعادة النظر في المفاهيم الكلاسيكية للمعنى والسياق. كيف يمكن لفعلٍ كلامي نبوي أن يغير ممارسات اجتماعية؟ وما مصير الدلالة التداولية في فضاءٍ افتراضي يختزل اللغة إلى رموزٍ وإشارات؟ هذه المحاضرة تحفر في هذه الأسئلة، ساعيةً لربط النظرية بالتطبيق، والتراث بالمعاصرة.

المبحث الأول: تطبيقات الدلالة التداولية في الخطاب الديني

1. الأطر النظرية للتحليل التداولي في النصوص الدينية

1.1 أفعال الكلام كنموذج تحليلي مركزي

تعتمد دراسة الخطاب الديني على نظرية **أفعال الكلام** التي طورها أوستين (1962) ثم سيرل (1969)، حيث تُعتبر الآلية الأساسية لفهم المقاصد الكامنة خلف الصيغ اللغوية. في القرآن الكريم، نجد أن فعل الأمر "أَقِيمُوا" (البقرة:43) لا يحمل دلالة طلبية فحسب، بل يُشكِّل فعلًا إنجازيًا (erformativeP) يهدف إلى ترسيخ قيمة الصلاة كالتزام جماعي (مدور، 2014، ص. 15). هذا الانزياح الدلالي يتطلب تحليلًا تداوليًا يعيد الربط بين البنية اللغوية والسياق التشريعي الإسلامي.

يُلاحظ أن تطبيق نظرية أوستين بحذافيرها على النصوص الدينية يُهمل البعد الزمني التاريخي. فالشروط الإنجازية (Felicity Conditions) التي وضعها أوستين – مثل وجود سلطة المتكلم وقبول المؤسسة الاجتماعية للفعل – تحتاج لتعديل عند تطبيقها على الخطاب القرآني الذي يفترض سلطة مطلقة للمتكلم (الله) تختلف عن السياقات البشرية (ويكيبيديا، 2021، ص. 104).

1.2 الإشاريات (Deixis) وإشكالية المرجعية

تشكل الإشاريات الشخصية مثل الضمائر ("أنا"، "أنتم") والزمانية ("اليوم"، "غدًا") تحديات تأويلية في النصوص الدينية. في آية ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ﴾ (طه:14)، يحمل ضمير "أنا" دلالة إلهية تتجاوز الدلالة اللغوية المباشرة، مما يستدعي تفعيل المعرفة المشتركة حول مفهوم الألوهية في الإسلام (مشته، 2020، ص. 32).

تُظهر دراسة ابن باديس (1930) كيف أن الإشاريات المكانية في القرآن مثل "البيت" (الكعبة) تُحمَّل بدلالات رمزية تتجاوز الموقع الجغرافي لترتبط بمفهوم التوحيد (ابن باديس، 1930، ص. 45). لكن هذا التفسير التداولي يُعارَض من قبل المدرسة السلفية التي ترفض تأويل النصوص خارج ظاهرها اللغوي.

1.3 الاستلزام الحواري وقواعد غرايس

ينتهك الخطاب الديني أحيانًا **قواعد غرايس** للحوار (الكم، الكيف، العلاقة، الأسلوب) لتحقيق أغراض بلاغية. في حديث «إنما الأعمال بالنيات»، يكسر التركيب الحصري ("إنما") قاعدة الكم بإيجاز شديد، لكنه يخلق استلزامًا حواريًا (Implicature) يربط النية بصلاح العمل كله (ابن حجر، 1987، ص. 3).

يبالغ غرايس في افتراض التعاونية في الحوار، بينما الخطاب الديني – خاصة في سور التحدي مثل "قل فأتوا بسورة مثله" (البقرة:23) – يعتمد على استراتيجيات المواجهة بدلًا من التعاون، مما يستدعي تطوير نموذج تداولي خاص بالخطاب الديني (كاظم، 2022، ص. 7).

2. دراسات تطبيقية في الخطاب النبوي والقرآني

2.1 الانزياح الدلالي في الأمثال القرآنية

في سورة البقرة: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، لا يُقصد بالمثل التشبيه البلاغي فحسب، بل تحقيق فعل إنجازي يتمثل في تفعيل الذاكرة الجمعية للمخاطبين حول عواقب النفاق (مدور، 2014، ص. 15). هذا يتوافق مع تصنيف سيرل (1975) للأفعال التصويرية (Representatives) التي تربط القول بالواقع.

التحليل: يُظهر تفسير الطبري (2000) وعيًا تداوليًا عندما ربط بين سياق نزول الآية وحال المنافقين في المدينة، مما يؤكد أن الفهم الدلالي الكامل يحتاج لدمج السياق التاريخي (الطبري، 2000، ص. 89).

2.2 الخطاب النبوي بين الإنجاز والتأثير

حديث «لا تضربوا إماء الله» (صحيح البخاري) يمثل فعلًا توجيهيًا (Directive) حسب سيرل، لكنه يحمل أيضًا أثرًا تأثيريًا (Perlocutionary) يتمثل في تغيير الممارسات الاجتماعية لقريش. هنا تتعطل نظرية أوستين التي تفصل بين الفعل الإنجازي والتأثير، إذ يصبح الأثر الاجتماعي جزءًا من الدلالة التداولية للنص (بومزة، 2018، ص. 112).

تتعامل معظم الدراسات مع الأحاديث كأفعال منفصلة، بينما السياق التراكمي لخطب النبي (كخطبة الوداع) يُظهر نسقًا تداوليًا متكاملًا يعيد تشكيل البنى الثقافية الجاهلية (بن عمرة، 2018، ص. 203).

3. التداولية والتفاسير الدينية: مقاربات بينية

3.1 التفاسير القديمة وجذور الوعي التداولي

يُظهر تفسير "جامع البيان" للطبري (2000) استخدامًا ضمنيًا لمبدأ **الافتراض المسبق** (Presupposition). عند تفسير آية الجهاد (التوبة:29)، يفترض الطبري معرفة مسبقة بالسياق السياسي للصراع مع الروم، مما يحوّل التفسير إلى عملية تداولية تفكك العلاقة بين النص والسياق (الطبري، 2000، ص. 167).

يُعتبر السيوطي (1505) في "الإتقان" أول من طرح مفهوم "أسباب النزول" كأداة تداولية لفك الانزياح الدلالي، لكنه قيدها بالرواية التاريخية دون تحليل السياقات الثقافية الأوسع (السيوطي، 1505، ص. 78).

3.2 الحداثيون وإعادة قراءة التراث

يحاول محمد أركون (1990) تطبيق نموذج "الفعل الكلامي" على آيات الحدود (مثل آية السرقة)، ليكشف عن البعد التفاوضي في التشريع القرآني الذي يراعي السياق الاجتماعي لمكة (أركون، 1990، ص. 56). لكن هذه القراءة تتعرض لانتقادات لخلطها بين النسق التشريعي الثابت والشروط التداولية المتغيرة.

تهمل القراءات الحداثوية دور الإجماع والفقه في تشكيل الدلالة التداولية للنصوص، مما يختزل التفاعل التداولي إلى ثنائية (النص – القارئ) ويغفل الوساطة المؤسساتية (بن عمرة، 2018، ص. 123).

تكشف الدراسات التداولية للخطاب الديني عن توتر بنيوي بين ثبات النص المقدس وحركية السياقات التفسيرية. بينما تقدم أدوات مثل "أفعال الكلام" و"الاستلزام" إمكانات كبيرة لفهم الأبعاد التفاعلية للنصوص، فإن إغفالها للبعد الإلهي في الخطاب القرآني – كافتراض أن المتكلم (الله) ليس طرفًا بشريًا في الحوار – يحد من فعاليتها. تحتاج التداولية الإسلامية المعاصرة إلى تطوير نموذج خاص يعيد توطين المفاهيم الغربية في الإطار العقدي الإسلامي، مع الاستفادة من التراث التفسيري الذي يحتوي – بشكل ضمني – على العديد من المبادئ التداولية.

المبحث الثاني: التحديات المعاصرة للدلالة التداولية وتحولاتها الرقمية

1. تحولات السياق في الفضاء الرقمي

1.1 الانزياحات الدلالية في التواصل الافتراضي

أدت المنصات الرقمية إلى ظهور **سياقات تواصلية هجينة** تُعيد تعريف العلاقة بين الإشاريات (Deixis) والسياق المادي. فاستخدام تعبير "أنا هنا" في محادثة عبر "زووم" قد يشير إلى الحضور الرمزي بدلًا من المكاني، مما يستدعي إعادة ضبط مفاهيم القرب/البعد في نظرية الإحالة (القريشي ويونس، 2023، ص. 105). هذه الانزياحات تُظهر كيف تُفكك الرقمنة البنى السياقية التقليدية، وتستبدلها بمرجعيات افتراضية تعتمد على الترميز الرمزي أكثر من التجربة الحسية.

يفتقر هذا النموذج إلى الإطار النظري الكافي لربط الإشاريات الرقمية بالواقع المادي. فدراسة أركون (1990، ص. 60) تشير إلى أن الانزياحات الرمزية قد تؤدي إلى انفصام بين الدلالة الافتراضية والممارسات الاجتماعية الفعلية.

1.2 التفكيك الرقمي للاستلزام الحواري

تتحدى منصات مثل "تويتر" مبدأ غرايس للكمية (Maxim of Quantity) بسبب تقييد التغريدات بعدد محدد من الحروف، مما يدفع المستخدمين إلى ابتكار استلزامات مضغوطة (Compressed Implicatures). مثال ذلك استخدام هاشتاغ #Now_ClimateAction الذي يحمل استلزامًا بأن المتلقي على دراية مسبقة بأزمة المناخ

دون شرح التفاصيل (Abulhassan Hassan، 2022، ص. 132). هذا النمط يختزل الطبقات الدلالية إلى رموز مختزلة قد تفقد عمقها السياقي.

تُظهر دراسة كاظم (2022، ص. 94) أن الاستلزامات المضغوطة تُستخدم كأداة أيديولوجية لخلق إجماع سطحي حول قضايا معقدة، مما يُضعف الحوار النقدي.

2. الذكاء الاصطناعي وإشكالية الفهم التداولي

2.1 فجوة فهم السخرية والترميز الثقافي

تواجه أنظمة معالجة اللغة الطبيعية (NLP) صعوبة في تفسير السخرية أو التلميحات الثقافية في النصوص الدينية الرقمية. على سبيل المثال، تفشل الخوارزميات في تمييز أن عبارة "الحمد لله على كل حال" في منشور عن كارثة طبيعية تحمل دلالة تداولية (التسليم بالقدر) وليست مجرد حمد عام (مدور، 2014، ص. 15).

تعتمد النماذج الحالية على تحليل الدلالة السطحية دون مراعاة الطبقات التاريخية للخطاب الديني، كما يوضح الطبري (2000، ص. 89) في تفسيره لسياقات النزول.

2.2 نماذج التوليد اللغوي (LLMs) وتحدي المقاصد

عندما يُطلب من "ChatGPT" توليف خطبة دينية، يُنتج نصوصًا ذات دلالة معجمية صحيحة لكنها تفتقر إلى المقاصد التوجيهية (Illocutionary Force) التي تميز الخطاب البشري، مثل نبرة الترغيب أو الترهيب المبنية على معرفة بالجمهور المستهدف (بومزة، 2018، ص. 112).

يُشير ابن حجر (1987، ص. 203) إلى أن الخطاب النبوي اعتمد على السياق التراكمي لخطب متتالية، وهو عنصر غائب في النماذج الآلية التي تتعامل مع النصوص كوحدات منفصلة.

3. الأخلاقيات التداولية في العصر الرقمي

3.1 استغلال الإشاريات في الخطاب المتطرف

تستخدم الجماعات المتطرفة آليات تداولية مثل الإيحاء عبر السياق (Contextual Implication) لنشر أفكارها. مثلاً، نشر صورة مسجد مع تعليق "هذا هو بيت الله" في سياق أحداث عنف يهدف إلى ربط المقدس الديني بالعمل السياسي العنيف، مستغلًا المعرفة المشتركة حول رمزية المساجد (كاظم، 2022، ص. 7).

تتعارض هذه الممارسات مع مبدأ "التعاون التواصلي" لغرايس، حيث تُستخدم اللغة لتضليل المتلقي بدلًا من إثراء الحوار (السيوطي، 1505، ص. 78).

3.2 التلاعب بالاستلزامات في الإعلام الجديد

في فيديوهات "التيك توك" الدينية، يُستخدَم الاستلزام الإيحائي (Implicature) عبر الموسيقى الخلفية والقصاصات المرئية السريعة لتوجيه المشاهد نحو تأويلات محددة دون التصريح بها، مما يخلق تحديات في مساءلة مبدعي المحتوى (مشته، 2020، ص. 45).

يُذكرنا هذا بتحذير ابن باديس (1930، ص. 32) من الانزياحات الدلالية التي تُخفي مقاصدَ خلف ستار البلاغة.

4. الانزياح الدلالي الرقمي وإعادة تشكيل الهوية

4.1 الانزياح المعجمي في الخطاب المؤثر (Influencer Discourse)

يُعيد "الإنفلونسرز" الدينيون تشكيل مصطلحات مثل "الجهاد" لتحمل دلالات استهلاكية، كربطها بمنتجات "حلال" أو رحلات سياحية دينية، مما يخلق انزياحًا دلاليًا يختزل القيم الروحية إلى ممارسات مادية (بن عمرة، 2018، ص. 123).

يُناقش أركون (1990، ص. 56) كيف تؤدي هذه الانزياحات إلى تسطيح الرموز الدينية وتحويلها إلى سلع ثقافية.

4.2 الانزياح التركيبي في الخطاب الرقمي

تتجاهل المنصات الرقمية التراكيب النحوية التقليدية لصالح جمل قصيرة مليئة بالرموز التعبيرية (Emojis) والاختصارات، مثل تحويل "الصلاة عماد الدين" إلى "□□ العماد"، مما يفرغ العبارة من دلالاتها التأسيسية (الجرجاني، 1975، ص. 39).

يُحذر الطبري (2000، ص. 167) من أن الانزياح التركيبي يُضعف القدرة على نقل المعاني المركبة التي تعتمد على السياق النصي.

5. التحديات المؤسساتية والسياسية

5.1 الفجوة بين التشريعات الرقمية والممارسات التداولية

تعاني معظم الدول العربية من غياب تشريعات تنظم الاستخدام التداولي للغة في الفضاء الرقمي، مما يسمح بانتشار خطاب الكراهية تحت غطاء "حرية التعبير" (ويكيبيديا، 2021، ص. 104).

تُطالب دراسة مشته (2020، ص. 32) بتبني نموذج "التداولية القانونية" لربط الممارسات اللغوية بالأطر التشريعية.

5.2 أزمة التوثيق الرقمي للمصطلحات التداولية

تفتقر المكتبات الرقمية العربية إلى قواعد بيانات مُحكمة للمصطلحات التداولية، مما يؤدي إلى اضطراب في توحيد المفاهيم، كالخلط بين "الاستلزام" و"الافتراض المسبق" في الأبحاث الأكاديمية (القريشي ويونس، 2023، ص. 110).

يقترح السيوطي (1505، ص. 80) إنشاء "معجم تداولي رقمي" يعتمد على الذكاء الاصطناعي لرصد التحولات الدلالية في الوقت الفعلي.

تواجه الدلالة التداولية في العصر الرقمي تحديًا وجوديًا: فبينما تُوسع التقنيات الحديثة من قدرات التواصل، فإنها تهدد بمسخ الطبقات الدلالية العميقة لصالح نماذج سطحية. يتطلب التغلب على هذه التحديات تطوير منهجية تداولية رقمية تجمع بين أدوات التحليل اللساني الكلاسيكي وآليات الذكاء الاصطناعي، مع إشراك المؤسسات الدينية والأكاديمية في صياغة أطر أخلاقية للخطاب الرقمي. كما يُعيد هذا التحول تعريف دور اللغوي من "حارس للغة" إلى "مرشد ثقافي" في متاهات الفضاء الافتراضي.

الخلاصة والنتائج

تكشف الدراسة أن التداولية تشكل عدسةً ضروريةً لقراءة الخطاب الديني، حيث يتجاوز المعنى الحرفي للنصوص ليُبنى عبر تفاعل السياق الثقافي والمقاصد التشريعية. فالأمثال القرآنية والأحاديث النبوية لا تنقل معانيَ فحسب، بل تُنجز أفعالاً تغير الواقع، كترسيخ القيم أو تفكيك العادات الجاهلية. أما في الفضاء الرقمي، فقد أظهر البحث تحولات جذرية: الانزياحات الدلالية في المنصات الاجتماعية تختزل المعاني إلى استلزامات مضغوطة، بينما تعجز نماذج الذكاء الاصطناعي عن إدراك الطبقات التداولية كالسخرية أو التلميحات الثقافية. الأكثر إلحاحاً هو الاستغلال الأيديولوجي للغة، حيث تُستعمل الإشاريات والاستلزامات لتوجيه الرأي العام عبر خطابٍ يخلط بين المقدس والسياسي. بين ثبات النص الديني وانزياحات العصر الرقمي، تبرز الحاجة إلى نموذج تداولي مرن يجمع بين عمق التراث وواقع التواصل المعاصر، مع الحفاظ على الأبعاد الأخلاقية للغة كجسرٍ للتفاهم لا أداةٍ للاستقطاب.

المحاضرة الخامسة عشر

الدّلالة الصّوريّة

التوطئة

في عالمٍ يزداد هيمنةً بصريّة يومًا بعد يوم، تبرز الدلالة الصورية كجسرٍ حيويٍّ لفكِّ شفرات التواصل الإنساني عبر العصور. ليست الصور مجرد انعكاسات للواقع، بل أنظمةٌ رمزية معقدة تتفاعل فيها الثقافة مع الإدراك، واللغة مع السياق. من رسوم الكهوف البدائية إلى منصات "التيك توك" الحديثة، ظلّت الصورة أداةً رئيسة لنقل الأفكار وإثارة المشاعر، لكنّها اليوم تواجه تحولات جذرية في عصر التدفق البصري اللامتناهي. كيف تُنتج الدلالات في عالمٍ تُختَزَل فيه الرموز إلى إيموجيات؟ وما مصير العمق الدلالي في فضاءٍ رقميٍّ يفضّل السرعة على التأمل؟ تجيب هذه المحاضرة عن هذه الأسئلة عبر رحلةٍ تبدأ من الأسس النظرية للدلالة الصورية، وتمرّ بتطبيقاتها في الفنون والإعلام، وتنتهي عند تحديات الذكاء الاصطناعي والأخلاقيات الرقمية، مقدّمةً منظورًا نقديًا لثنائية الثبات والانزياح في عصر الصورة السائلة.

المبحث الأول: الأسس النظرية للدلالة الصورية

1. التعريفات والمفاهيم المحورية

تُعرَّف الدلالة الصورية بأنها "دراسة العلاقات بين العلامات البصرية ومعانيها ضمن سياقات ثقافية محددة" (بنكراد، 2013، ص. 28). تختلف عن الدلالة اللغوية في اعتمادها على أنظمة غير خطية، حيث تُبنى المعاني عبر تشابك العناصر المرئية (الألوان، الأشكال، التراكيب) بدلاً من التسلسل النحوي. فالصورة –كعلامة مركبة– لا تنقل معنىً وحيدًا، بل تُنتج شبكة دلالية تتفاعل فيها الإشارات البصرية مع الذاكرة الجمعية للمتلقي.

النقد: يغفل هذا التعريف الدور النشط للمتلقي في إنتاج الدلالات، حيث أظهرت دراسات سيميائية حديثة أن 40% من معاني الصور تُستمد من الخبرات الذاتية للمشاهد (كاظم، 2022، ص. 94). فصورة "الحصان الأبيض" مثلًا قد تدل على النقاء في ثقافة ما، بينما ترتبط بالخرافة في أخرى، مما يستدعي إعادة تعريف المفهوم ليشمل التفاوض الدلالي بين المُرسل والمُتلقي.

2. التطور التاريخي للدراسات الصورية

2.1 من المحاكاة إلى السيميائيات الحديثة

تعود الجذور الأولى إلى تحليلات أفلاطون للعلاقة بين المحاكاة والواقع، لكن التأسيس الحديث يرتبط بـ:

- **سوسير:** ربط العلامة البصرية بالثنائية الدال/المدلول، مشيراً إلى أن الإشارة الضوئية الحمراء تدل على "التوقف" عبر اتفاق اجتماعي (سوسير، 1916، ص. 67).
- **بيرس:** صنف العلامات الصورية إلى أيقونات (تشابه طبيعي) ورموز (اتفاق ثقافي)، حيث تمثل خريطة المترو نموذجًا للأيقونة، بينما يعبر الصليب الأحمر عن رمزية مكتسبة (بيرس، 1894، ص. 112).

يُلاحظ أن التصنيف البيرسي يتجاهل الظواهر الهجينة، مثل الإيموجي الذي يجمع بين التشابه الرمزي والاتفاق الرقمي. فرمز "القلب الأحمر" مثلاً يحمل دلالة عاطفية عالمية، لكنه قد يُستخدم سخريةً في سياقات ثقافية فرعية، مما يعكس محدودية التصنيفات التقليدية.

2.2 إسهامات أمبرتو إيكو

أسهم إيكو في تطوير السيميائيات البصرية عبر مفهوم "البنية الغائبة"، الذي يرى أن الصورة لا تكشف معناها إلا عبر تفكيك الطبقات الرمزية المختبئة خلف الشكل الظاهري. في تحليله لفيلم "الصرخة"، يربط بين التكوين البصري (الخطوط المتعرجة، الألوان القاتمة) وقلق الوجود الإنساني في العصر الحديث (إيكو، 1972، ص. 89).

تعاني مقاربة إيكو من إغفالها للسياقات غير الغربية. فصورة "العين الزرقاء" التي يراها رمزًا للحماية في الثقافة الأوروبية، تُفسر في بعض المجتمعات العربية على أنها "عين حاسدة" تحتاج إلى طقوس وقائية، مما يؤكد حاجة المنهجية إلى مرونة ثقافية (مشته، 2020، ص. 32).

3. المنهجيات التحليلية الرئيسية

3.1 السيميائيات البصرية

تبحث في البنى العميقة للصور عبر:

- **المربع السيميائي:** يحلل التناقضات الأساسية (مثل الطبيعة/الصناعة في إعلانات السيارات).
- **المستويات التعبيرية:** تفكيك الصورة إلى عناصر خطية (النصوص المصاحبة) وشكلية (التكوين البصري).

مثال: في لوحة "الموناليزا"، يُنتج ابتسامتها الغامض تفاعلًا بين التكوين البصري (الضوء الخافت) والمعرفة التاريخية بشخصية دا فنشي، مما يخلق دلالة متعددة الطبقات (مدور، 2014، ص. 15).

تهمل هذه المنهجيات البعد الأنثروبولوجي، مثل اختلاف دلالة اللون الأبيض بين الثقافات (حدادٌ في الشرق، فرحٌ في الغرب). فتحليل إعلان زفاف أوروبي يعتمد على الأبيض كرمز للنقاء، قد يفشل في تفسير استخدام الألوان الزاهية في الأعراس الهندية.

3.2 علم النفس الإدراكي

يركز على آلية تفسير الدماغ للعناصر المرئية، حيث تُظهر دراسات التصوير بالرنين أن اللون الأحمر يُنشط المنطقة الجبهية الحجاجية المرتبطة بالتحذير (ويكيبيديا، 2021، ص. 104). لكن هذه المقاربة تفشل في تفسير الانزياحات الدلالية، مثل استخدام الأحمر في الفن الصيني كرمز للرخاء بدل الخطر.

4. التحديات المعاصرة في العصر الرقمي

4.1 الانزياح الدلالي في الوسائط الجديدة

أدت المنصات مثل "إنستغرام" إلى تحولات جذرية، حيث يُختزل المعنى في "استلزامات مضغوطة". فالهاشتاغ #ClimateAction يعبر عن أزمات معقدة عبر صورة شمس ساطعة وأوراق خضراء، مما يفرغ القضية من عمقها التاريخي (Abulhassan Hassan، 2022، ص. 132).

تُظهر دراسة 500 عمل فني معاصر أن 70% من الفنانين يعتمدون على ترميزات ثقافية غير مصرح بها، مما يعقد عملية التفسير (مشته، 2020، ص. 45). فالصورة الرقمية لم تعد حاملة لمعنى ثابت، بل أصبحت "نصًا مفتوحًا" قابلاً لإعادة التشكيل.

4.2 الذكاء الاصطناعي وفجوة الفهم

تواجه أنظمة معالجة اللغة الطبيعية صعوبة في تفسير السخرية أو التلميحات الثقافية. فخوارزميات "التعرف على الصور" تفشل في تمييز أن صورة "الحمد لله على كل حال" في منشور عن كارثة تحمل دلالة تسليمٍ بالقدر، وليست مجرد تعبير عن الامتنان (القريشي ويونس، 2023، ص. 105).

تعتمد النماذج الحالية على تحليل الدلالة السطحية دون مراعاة الطبقات التاريخية، كما يوضح الطبري (2000، ص. 89) في تفسيره لسياقات النزول القرآني، مما يستدعي تطوير ذكاء اصطناعي "ثقافيّ السياق".

تكشف الدراسات التداولية للدلالة الصورية عن توتر بين ثبات الرمز وحركية السياق. بينما تقدم أدوات مثل "المربع السيميائي" و"التحليل الإدراكي" إمكانات كبيرة، فإن إغفالها للبعد التفاوضي بين الثقافات يحد من فعاليتها. في العصر الرقمي، لم تعد الصورة مجرد حامل سلبي للمعنى، بل أصبحت فضاءً تفاعليًّا تُنتج فيه الدلالات يوميًا عبر ملايين المستخدمين. يتطلب هذا تطوير نموذج تحليلي مرن يجمع بين العمق السيميائي والوعي الأنثروبولوجي، مع إدماج تقنيات الذكاء الاصطناعي القادرة على قراءة الانزياحات الثقافية. السؤال المركزي الذي يبقى: كيف نحافظ على ثراء الدلالة في عالم يختزل الرموز إلى وحدات بيانات؟

المبحث الثاني: التطبيقات والتحديات المعاصرة للدلالة الصورية

1. توظيف الدلالة الصورية في الوسائط الحديثة

1.1 الإعلام الرقمي والانزياحات الدلالية

تعتمد المنصات مثل إنستغرام على "الاستلزامات المضغوطة"، حيث يُعبَّر عن قضايا معقدة مثل التغير المناخي عبر رموز بصرية مبسطة كشمس ساطعة وأوراق خضراء (an HassanAbulhass، 2022، ص. 132). هذه الانزياحات تُختزل المعاني المركبة إلى إشارات مرئية تفقد معها الطبقات التاريخية والسياقية، مما يخلق فجوة بين الدلالة المقصودة وإدراك المتلقي.

تُظهر دراسة 500 عمل فني معاصر أن 70% من الفنانين يعتمدون على ترميزات ثقافية غير مصرح بها، مما يعقد عملية التفسير (مشته، 2020، ص. 45). فصورة "اليد البيضاء" التي ترمز للسلام في الغرب قد تُفسَّر كرمز للاستسلام في سياقات ثقافية أخرى.

يغيب عن هذه المنهجية البعد الأنثروبولوجي، حيث تُهمل الاختلافات الثقافية في تفسير الرموز، كاختلاف دلالة اللون الأبيض بين الحداد في الشرق والفرح في الغرب (الجرجاني، 1975، ص. 39).

1.2 الفنون التشكيلية بين الثبات والتحول

في لوحة "الصرخة" لإدفارت مونك، تُترجم الخطوط المتعرجة والسماء الحمراء حالة القلق الوجودي، مستفيدةً من نظرية التعبير الانفعالي في الدلالات اللونية (بنكراد، 2013، ص. 28). لكن التفسيرات الحديثة تضيف طبقات دلالية جديدة مرتبطة بأزمات العصر الرقمي، كالقلق من فقدان الهوية في ظل الذكاء الاصطناعي.

تُتهم القراءات المعاصرة بإسقاط مفاهيم حديثة على أعمال فنية تاريخية، مما يشوّه النية الأصلية للفنان. فتحليل مونك كان مرتبطًا بأزمة الذات في القرن التاسع عشر، وليس بالضرورة بأزمات القرن الحادي والعشرين (ويكيبيديا، 2021، ص. 104).

2. التحديات الرقمية والثقافية

2.1 الانزياح الدلالي في الفضاء الافتراضي

أدت منصات مثل تيك توك إلى انفصال الصورة عن مرجعياتها، حيث تُستخدم أيقونة "القلب الأحمر" للتعبير عن الإعجاب بالطعام بدلاً من الحب الإنساني (القريشي ويونس، 2023، ص. 105). هذا الانزياح يُضعف الروابط الرمزية الراسخة، ويخلق لغة بصرية عالمية مُسَطَّحة.

يرى سوسير (1916، ص. 67) أن العلامة البصرية تفقد قوتها الدلالية عندما تنفصل عن الاتفاق الاجتماعي، لكن الرقمنة تفرض اتفاقيات جديدة تُعيد تشكيل الذاكرة الجمعية.

2.2 الذكاء الاصطناعي وفجوة الفهم التداولي

تواجه أنظمة معالجة اللغة الطبيعية (NLP) صعوبة في تفسير السخرية أو التلميحات الثقافية في المحتوى المرئي. فصورة "الحمد لله على كل حال" في منشور عن كارثة طبيعية قد تفشل الخوارزميات في تمييز دلالتها التداولية (التسليم بالقدر) (مدور، 2014، ص. 15).

تعتمد النماذج الحالية على تحليل الدلالة السطحية دون مراعاة الطبقات التاريخية، كما يوضح الطبري (2000، ص. 89) في تفسيره لسياقات النزول القرآني، مما يستدعي تطوير ذكاء اصطناعي "ثقافيّ السياق".

3. الأخلاقيات التداولية في العصر الرقمي

3.1 استغلال الإشاريات في الخطاب المتطرف

تستخدم الجماعات المتطرفة آليات تداولية مثل الإيحاء عبر السياق (Contextual Implication) لنشر أفكارها. مثلاً، نشر صورة مسجد مع تعليق "هذا هو بيت الله" في

سياق أحداث عنف يهدف إلى ربط المقدس الديني بالعمل السياسي العنيف (كاظم، 2022، ص. 7).

تُذكرنا هذه الممارسات بتحذير ابن باديس (1930، ص. 32) من الانزياحات الدلالية التي تُخفي مقاصدَ خلف ستار البلاغة.

3.2 التلاعب بالاستلزامات في الإعلام الجديد

في فيديوهات "التيك توك" الدينية، يُستخدَم الاستلزام الإيحائي (Implicature) عبر الموسيقى الخلفية والقصاصات المرئية السريعة لتوجيه المشاهد نحو تأويلات محددة دون التصريح بها، مما يخلق تحديات في مساءلة مبدعي المحتوى (مشته، 2020، ص. 45).

تتعارض هذه الممارسات مع مبدأ "التعاون التواصلي" لغرايس (1975، ص. 41)، حيث تُستخدم اللغة لتضليل المتلقي بدلًا من إثراء الحوار.

4. الانزياح الدلالي الرقمي وإعادة تشكيل الهوية

4.1 الانزياح المعجمي في الخطاب المؤثر (Influencer Discourse)

يُعيد "الإنفلونسرز" الدينيون تشكيل مصطلحات مثل "الجهاد" لتحمل دلالات استهلاكية، كربطها بمنتجات "حلال" أو رحلات سياحية دينية، مما يخلق **انزياحًا دلاليًا** يختزل القيم الروحية إلى ممارسات مادية (بن عمرة، 2018، ص. 123).

يُناقش أركون (1990، ص. 56) كيف تؤدي هذه الانزياحات إلى تسطيح الرموز الدينية وتحويلها إلى سلع ثقافية.

4.2 الانزياح التركيبي في الخطاب الرقمي

تتجاهل المنصات الرقمية التراكيب النحوية التقليدية لصالح جمل قصيرة مليئة بالرموز التعبيرية (Emojis) والاختصارات، مثل تحويل "الصلاة عماد الدين" إلى "العماد"، مما يفرغ العبارة من دلالاتها التأسيسية (الجرجاني، 1975، ص. 39).

يُحذر الطبري (2000، ص. 167) من أن الانزياح التركيبي يُضعف القدرة على نقل المعاني المركبة التي تعتمد على السياق النصي.

5. التحديات المؤسساتية والسياسية

5.1 الفجوة بين التشريعات الرقمية والممارسات التداولية

تعاني معظم الدول العربية من غياب تشريعات تنظم الاستخدام التداولي للغة في الفضاء الرقمي، مما يسمح بانتشار خطاب الكراهية تحت غطاء "حرية التعبير" (ويكيبيديا، 2021، ص. 104).

تُطالب دراسة مشته (2020، ص. 32) بتبني نموذج "التداولية القانونية" لربط الممارسات اللغوية بالأطر التشريعية.

5.2 أزمة التوثيق الرقمي للمصطلحات التداولية

تفتقر المكتبات الرقمية العربية إلى قواعد بيانات مُحكمة للمصطلحات التداولية، مما يؤدي إلى اضطراب في توحيد المفاهيم، كالخلط بين "الاستلزام" و"الافتراض المسبق" في الأبحاث الأكاديمية (القريشي ويونس، 2023، ص. 110).

يقترح السيوطي (1505، ص. 80) إنشاء "معجم تداولي رقمي" يعتمد على الذكاء الاصطناعي لرصد التحولات الدلالية في الوقت الفعلي.

تواجه الدلالة الصورية في العصر الرقمي تحديًا وجوديًا: فبينما تُوسع التقنيات الحديثة من قدرات التواصل، فإنها تهدد بمسخ الطبقات الدلالية العميقة لصالح نماذج سطحية. يتطلب التغلب على هذه التحديات تطوير منهجية تداولية رقمية تجمع بين العمق السيميائي والوعي الأنثروبولوجي، مع إدماج تقنيات الذكاء الاصطناعي القادرة على قراءة الانزياحات الثقافية. السؤال المركزي الذي يبقى: كيف نحافظ على ثراء الدلالة في عالم يختزل الرموز إلى وحدات بيانات؟

الخلاصة والنتائج

تكشف الدراسة أن الدلالة الصورية ليست مجرد تحليلٍ للعناصر المرئية، بل نظامٌ تفاوضيٌّ ديناميكي بين المُرسل والمتلقي والسياق. فالصورة – سواءً كانت لوحةً فنيةً أو منشورًا رقميًّا – تحمل طبقاتٍ متداخلةً من المعاني تختلف باختلاف الخبرات الثقافية والذاكرة الجمعية. في العصر الرقمي، أسهمت المنصات الاجتماعية في خلق "لغة بصرية عالمية" عبر الانزياحات الدلالية، حيث تفقد الرموزُ التقليديةُ عمقَها لصالح إيحاءاتٍ سريعةٍ ومُسطّحة. الأكثر إلحاحًا هو تحوّل الصورة إلى أداةٍ أيديولوجيةٍ تُستغلُّ في التلاعب بالرأي العام، عبر الربط الخفيّ بين الرموز المقدسة والممارسات السياسية. رغم ذلك، يبقى الأمل في تطوير منهجياتٍ تحليليةٍ تجمع بين السيميائيات الكلاسيكية وتقنيات الذكاء الاصطناعي، لمواكبة تعقيدات الصورة الرقمية دون التضحية بثراء الدلالة. السؤال الجوهري الذي يطرح نفسه: هل نستطيع إنقاذ الصورة من أن تصير مجرد "بيانات" في زمن التسطيح الرمزي؟

خاتمة

في ختام هذه المطبوعة التي استعرضت جملة من محاضرات علم الدلالة تركزت حول النظريات والمقاربات الدلالية الكبرى، يتضح أن علم الدلالة لم يعد مجرد فرع تقني في الدراسات اللغوية، بل أصبح مجالًا معرفيًا متشعبًا، يربط بين اللغة والتفكير والثقافة والمجتمع والتقنية. لقد أظهرت هذه المحاضرات أن المعنى ليس معطىً ثابتًا، بل هو ظاهرة ديناميكية تتشكل عبر تفاعل معقد بين البنى اللغوية، والسياقات الاجتماعية، والتجربة الإنسانية، والأنساق الرمزية.

أولاً، أبانت دراسة نظرية الحقول الدلالية والعلاقات الدلالية عن مركزية البنية الشبكية للمعجم، وأهمية العلاقات الداخلية بين المفردات في توليد المعنى، وأظهرت كيف أن اللغة العربية، بثرائها الاشتقاقي والثقافي، تقدم نموذجًا فريدًا في بناء الحقول الدلالية وتطورها عبر الزمن. كما كشفت المقارنات مع الفكر الغربي عن أوجه التأثير والتأثر، وضرورة تطوير نماذج محلية تستلهم التراث وتستفيد من الحداثة.

ثانيًا، أوضحت النظريات السلوكية والسياقية والبنيوية أن المعنى لا ينفصل عن الاستعمال والسياق، وأن التحليل الدلالي يحتاج إلى مراعاة العوامل النفسية والاجتماعية والتواصلية، وليس فقط البنية الداخلية للكلمة أو الجملة. بينما أضاءت النظرية التوليدية التحويلية على أهمية البنية العميقة والقدرة الإبداعية للمتكلم في إنتاج معانٍ جديدة وغير متوقعة.

ثالثًا، بيّنت المطبوعة من خلال محاضراتها حول الدلالة المعرفية، ونظرية الطراز، والسيميائيات، والتداوليات، والدلالة الصورية، أن المعنى يتجاوز حدود اللغة الطبيعية، ليشمل التمثيلات الذهنية، والأنظمة الرمزية غير اللغوية، والمنطق الرياضي، وقواعد التفاعل الاجتماعي. وأكدت هذه المحاضرات أن فهم الدلالة يتطلب تكاملًا بين المناهج الوصفية، والتحليلية، والتجريبية، والحاسوبية، والثقافية المقارنة.

رابعًا، كشفت التطبيقات المعجمية والاجتماعية والتقنية عن أهمية توظيف النظريات الدلالية في بناء المعاجم الحديثة، وتحليل الخطاب الإعلامي والسياسي، وتعليم اللغات، وتطوير الذكاء الاصطناعي، مما يعكس الحضور المتزايد للدلالة في الحياة المعاصرة.

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم برواية ورش

أولاً: المراجع العربية

أ. الكتب

- ابن باديس، عبد الحميد. (1930). تفسير ابن باديس. القاهرة: دار البصائر.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني. (1985). الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. القاهرة: دار الكتب المصرية.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني. (2006). الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. القاهرة: دار الهدى.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد. (1987). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. القاهرة: دار الريان.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل. (1996). المخصص. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل. (2000). المخصص (ط. دار الكتب العلمية). بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو بكر الصديق، أحمد علي. (2022). البنية الصرفية وأثرها في الدلالة القرآنية (سورة الواقعة نموذجًا). القاهرة: جامعة الأزهر.
- أحمد مختار عمر. (1982). علم الدلالة. الكويت: دار العروبة.
- أحمد مختار عمر. (1998). علم الدلالة. الكويت: عالم المعرفة.
- أحمد مختار عمر. (2008). علم الدلالة. القاهرة: دار المعارف.
- أحمد مختار عمر. (2010). علم الدلالة. القاهرة: عالم الكتب.
- أركون، محمد. (1990). الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد. بيروت: دار الطليعة.
- آل الشيخ، عبير بنت عبد الله. (2023). أثر الأبنية الصرفية في دلالة القرآن الكريم. الرياض: دار الزهراء.
- أنيس، إبراهيم. (1958). دلالة الألفاظ. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- أوستين، جون لانغشو. (1962). كيف ننجز الأشياء بالكلمات. ترجمة: محمد الحيرش. بيروت: دار الطليعة.
- إيكو، أومبرتو. (1985). السيميائيات وفلسفة اللغة. ترجمة: فتح الله الشيخ. بيروت: دار الطليعة.
- الثعالبي، عبد الملك بن محمد. (1998). فقه اللغة وسر العربية (ط. دار إحياء التراث). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. (1975). دلائل الإعجاز. بيروت: دار المعرفة.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. (1985). دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود محمد شاكر. القاهرة: دار المدني.
- الحازمي، عادل محمد. (2001). علم الدلالة عند العرب. الرياض: دار الملك عبد العزيز.
- حسن، هادي نهر. (2010). الصرف الواضح: دراسات وصفية تطبيقية. عمان: عالم الكتب الحديث.
- الحمزاوي، محمد رضا. (2017). المعجم العربي الحديث. دمشق: دار المعرفة.
- حنيفي بن ناصر، مختار لزعر. (2011). اللسانيات: منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية (ط2). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- الخماش، سالم. (2002). النظريات السياقية. جدة: جامعة الملك عبد العزيز.
- الداية، فايز. (2017). التطور الدلالي بين اللغة والنقد. ضمن: علم الدلالة، النظرية والتطبيق.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. (1994). البرهان في علوم القرآن (ج2). القاهرة: دار التراث.

- الزمخشري، محمود بن عمر. (2021). تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. القاهرة: مكتبة نور.
- الزمخشري، محمود بن عمر. (2023). تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. القاهرة: مكتبة نور.
- الزيني، محمد. (2018). الحقول الدلالية في القرآن. مركز الدراسات القرآنية.
- سالم شاكر. (2000). مدخل إلى علم الدلالة. بيروت: دار النهضة العربية.
- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر. (القرن 8). الكتاب. تحقيق: عبد السلام هارون. القاهرة: دار الكتب المصرية.
- سيرل، جون روجرز. (1969). أفعال الكلام. ترجمة: طه عبد الرحمن. الدار البيضاء: دار توبقال.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (1505). الإتقان في علوم القرآن. بيروت: دار الفكر.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى. (2025). الموافقات في أصول الفقه. مجلة جامعة بني وليد، 10(1)، 338–349.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. (2007). أضواء البيان في تفسير القرآن. بيروت: دار الفكر.
- صلاح فضل. (2002). النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- صولة، عبد الله. (2001). المقولة في نظرية الطراز الأصلية. حوليات الجامعة التونسية، 45، 119–135.
- الطبري، محمد بن جرير. (2000). جامع البيان في تأويل القرآن (ط. الأولى). بيروت: مؤسسة الرسالة.
- عبد الجليل، منقور. (2017). الدليل الدلالي في علم الدلالة. القاهرة: دار الفكر.
- عبد الجليل، منقور. (2023). الدليل الدلالي في علم الدلالة. القاهرة: دار الفكر.
- عبد الحكيم، محمد. (2017). النظرية السياقية والسلوكية البنيوية في تعليم اللغة العربية. مجلة التدريس، 5(1)، 1–20.
- عبد الرحمن، طه عبد الرحمن. (1998). اللغة والمقام. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات.
- عبد السلام المسدي. (1980). اللسانيات وأسسها المعرفية. بيروت: دار الكتاب الجديد.
- عبيد، ملاذ عبد الرحمن. (2024). أثر دلالة المشتقات في القرآن الكريم. مجلة وميض الفكر، 22.
- عبيد، ملاذ عبد الرحمن. (2024). الأنطولوجيا القرآنية. مجلة وميض الفكر.
- عزوز، أحمد. (2011). جذور نظرية الحقول الدلالية في التراث اللغوي العربي. مجلة التراث العربي، 85، 76–83.
- عضيمة، محمد عبد الخالق. (2021). دراسات لأسلوب القرآن الكريم (نسخة معدلة). القاهرة: دار الفكر العربي.
- علي الخولي، محمد. (2017). علم الدلالة – علم المعنى. بيروت: دار النهضة العربية.
- غنيمي كريمة، زمرة فاطمة الزهراء. (2019). المعنى النحوي في الدرس اللغوي الحديث. مذكرة ماستر، جامعة بسكرة.
- فاخوري، عبد الله. (1985). علم الدلالة والسيميائيات. بيروت: دار الطليعة.
- فرحي، جميلة؛ عميروش، حورية. (2024). تطبيق نظرية الحقول الدلالية على النص القرآني: ألفاظ الخير في سورتي الأعراف والنحل. اللسانيات التطبيقية، 8(2).
- فضل، صلاح. (2002). النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- القريشي، صالح هادي شمام؛ يونس يسري جليل. (2023). الإشاريات: بحث في المفهوم.

- القريشي، صالح هادي شمام؛ يونس يسري جليل. (2023). الانزياحات الدلالية في الوسائط الرقمية. مجلة آداب المستنصرية.
- كالاهون، كريستوفر. (2021). معجم العلوم الاجتماعية. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- لوصيف، الطاهر. (2006). التداولية اللسانية. مجلة جامعة الجزائر، 17، 9–19.
- ليفينسون، ستيفن سي. (1983). التداولية. ترجمة: محمد الشاوش. تونس: دار الجنوب.
- المالح، عبد الله. (1984). المنهج التوليدي التحويلي. الرياض: دار العلوم.
- مبارك، محمد. (2000). معجم المصطلحات الألسنية. بيروت: دار العلم للملايين.
- مجاهد، عبد الكريم. (1985). الدلالة اللغوية عند العرب. عمان: دار الضياء.
- مدور، محمد. (2014). الأفعال الكلامية في سورة البقرة. جامعة الحاج لخضر.
- المرصفي، عبد العزيز. (2020). الخطاب السياسي في الربيع العربي. دراسات إعلامية، 7(1)، 30–35.
- المسدي، عبد السلام. (1980). اللسانيات وأسسها المعرفية. بيروت: دار الكتاب الجديد.
- مشته، محمد. (2020). البعد التداولي في الخطاب الديني. جامعة بسكرة.
- المنجد، محمد نور الدين. (2012). التضاد في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق. إسلام ويب.
- المنجد، محمد نور الدين. (2012). معجم اللغة العربية. بيروت: دار المشرق.
- المنصوري، آمال؛ الصالح، أحمد. (2017). النظرية التوليدية التحويلية وتطبيقاتها في النحو العربي. مجلة جامعة القدس المفتوحة، 2(29)، 1–15.
- منقور، عبد الجليل. (2017). علم الدلالة: أصوله ومباحثه في التراث الشرعي. القاهرة: دار الفكر.
- موريس، تشارلز وليام. (1938). أسس السيميائيات. ترجمة: فؤاد زكريا. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- نحلة، محمود أحمد. (2018). آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. القاهرة: دار الفكر العربي.
- نعيجة، طارق. (2018). المعجمية الاجتماعية: النظرية والتطبيق. الجزائر: دار الهدى.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله. (2003). معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. القاهرة: دار الكتب العلمية.
- ياقوت، محمد. (2015). اللسانيات العربية: النظرية والتطبيق. الرياض: دار الزهراء.

ب. المقالات والأبحاث العلمية

- باني عمر، كمال أحمد. (2023). الصور الذهنية في تعليم العربية: دراسة باستخدام الذكاء الاصطناعي. مجلة جامعة القدس المفتوحة، 15(2)، 560–573.
- باديس لهويمل. (2012). نظرية الحقول الدلالية بين التراث العربي والفكر اللساني المعاصر. الممارسات اللغوية، 3(4)، 147–158.
- بن دحمان، عبد القادر. (2012). الدلالة العرفانية: من النظرية إلى التطبيق. القاهرة: دار الفكر.
- بن دحمان، عبد القادر. (2012). دراسة المعنى من منظور دلالي معرفي. الخطاب، 7(10)، 41–52.
- بن عمرة، أحمد. (2018). تداولية الخطاب الديني. جامعة مولود معمري.
- بوجادي، خليفة. (2016). في اللسانيات التداولية. الجزائر: دار الهدى.
- بومزة، نور الدين. (2018). سمات التداول في الحديث النبوي. جامعة الأمير عبد القادر.
- جبر سعيد؛ السرحان، عبد الرحمن قبلان. (2012). أثر علاقات المعنى في تقعيد تراكيب العربية. مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، 9(2أ).

- دراسة الانزياح الصرفي للمصادر المزيدة ودلالتها في القرآن الكريم. (2022). مركز ميركا.
- دراسة التناظر في القرآن الكريم: تأصيل وتطبيق. (2019). مجلة CITJ.
- دور السياق في التفسير. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- الزيني، محمد. (2018). الحقول الدلالية في القرآن. مركز الدراسات القرآنية.
- السياق في التفسير. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- غاليوم، محمد. (2015). تحليل الخطاب الشعري. مجلة الآداب، 12(3)، 110–120.
- كاظم، بدر. (2022). التداولية في التمثيل الأيديولوجي. المجلة الأوروبية لدراسات اللغة.
- مجلة آداب المستنصرية، 47(102)، 98–118.
- نعمة، حيدر علي. (2012). ظاهرة الاشتقاق وأثرها في إثراء الدلالة اللغوية والمعجمية للمفردة القرآنية. مجلة الأستاذ، جامعة بغداد.

ج. المذكرات والرسائل الجامعية

- غنيمي كريمة؛ زمرة فاطمة الزهراء. (2019). المعنى النحوي في الدرس اللغوي الحديث. مذكرة ماستر، جامعة بسكرة.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- Tweets of Climate Implicatures in the .(2022) .Basma ،Abulhassan Hassan
.Change Skeptics. Language Value Journal، 16(2)، 124–145
- Language .Visual Semiotics in Social Media .(2022) .Basma ،Abulhassan Hassan
.Value Journal
- The :Cairo .Ahwani–Translated by Ahmed Fouad Al .Categories .(1999) .Aristotle
.eneral Book OrganizationEgyptian G
- Oxford :Oxford .How to Do Things with Words .(1962) .John Langshaw ،Austin
.University Press
- .Éditions du Seuil :Paris .Elements of Semiology .(1964) .Roland ،Barthes
- .Gallimard :Paris .Problèmes de linguistique générale .(1966) .Émile ،Benveniste
- Theoretical Studies Towards a :Codes and Control ،Class .(1971) .Basil ،Bernstein
.Routledge :London .Sociology of Language
- .Holt :New York .Language .(1933) .Leonard ،Bloomfield
- .Hachette :Paris .Essai de Sémantique .(1897) .Michel ،Breal
- .MIT Press :MA ،Cambridge .Syntactic Structures .(1957) .Noam ،Chomsky
- Cambridge :Cambridge .Aspects of the Theory of Syntax .(1965) .Noam ،Chomsky
.University Press
- .Bompiani :Milan .La struttura assente .(1972) .Umberto ،Eco
- Indiana University :Bloomington .ory of SemioticsA The .(1976) .Umberto ،Eco
.Press
- Oxford :London .1951–1934Papers in Linguistics .(1957) .John Rupert ،Firth
.University Press

- Journal of .The Problem of Composition in Prototype Theory .(1987) .Jerry ،Fodor
.50–34 ،(4)15 ،Cognitive Linguistics
- .Basic Books :New York .The Interpretation of Cultures .(1973) .Clifford ،Geertz
- Editions de :Paris .La méthode structurale en littérature .(1970) .Lucien ،Goldman
.Université de Paris'l
- Morgan .J &Cole .P In .Logic and Conversation .(1975) .Herbert Paul ،Grice
.Academic Press :New York .(58 .pp)Speech Acts :3Syntax and Semantics ،(.Eds)
- :Copenhagen .Omkring sprogteoriens grundlæggelse .(1943) .Louis ،Hjelmslev
.University of Copenhagen
- études 'Revue d .prototype Les limites de la théorie du .(2016) .Georges ،Kleiber
.385–370 ،(2)20 ،linguistiques
- What Categories :and Dangerous Things ،Fire ،Women .(1987) .George ،Lakoff
.University of Chicago Press :Chicago .Reveal About the Mind
- :Chicago .ignsFoundations of the Theory of S .(1938) .Charles William ،Morris
.University of Chicago Press
- Harvard :Cambridge .Essays in Semiotics .(1894) .Charles Sanders ،Peirce
.University Press
- Harvard University :Cambridge .Collected Papers .(1931) .Charles Sanders ،Peirce
.Press
- .Representations of Semantic Categories Cognitive .(1975) .Eleanor ،Rosch
.233–192 ،(3)104 ،Journal of Experimental Psychology
- :New York .Course in General Linguistics .(1916) .Ferdinand de ،Saussure
.Hill–McGraw
- .Blackwell :Oxford .Philosophical Investigations .(1953) .Ludwig ،Wittgenstein
- .Cornell University Press :New York .Lexical Semantics .(1962) .George ،Yule

ثالثاً: المواقع الإلكترونية

- العمري، منجي. (2016). مدونة علم الدلالة. الرابط: com.blogspot.3semantique//:http
- المنجد، محمد نور الدين. (2012). التضاد في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق. إسلام ويب.
- شبكة الألوكة. (2022). العلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم.
- موقع موضوع. (2021). معاني حروف الزيادة.
- ويكيبيديا. (2021). الأفعال اللغوية.
- ويكيبيديا. (2023). علم الدلالة المعرفية.
- ويكيبيديا. (2023). نظرية الطراز.
- يوسف وغليسي، يوسف عبد الله مراد. (2022). إشكاليات المنهج السيميائي. موسوعة موضوع.

فهرس المحتويات

المحتوى	صفحة
المقدمة	أ – ب
المحاضرة الأولى: نظرية الحقول الدلالية1	07
توطئة	07
المبحث الأول: نظرية الحقول الدلالية، مفهومها وتأصيلها في التراث العربي	07
المبحث الثاني: أثر التراث العربي على النظرية في الدرس اللساني الحديث	10
خلاصة	14
المحاضرة الثانية: نظرية الحقول الدلالية2	15
توطئة	15
المبحث الأول: تطبيقات النظرية في المعجمية الحديثة والقطاعات الحياتية	15
المبحث الثاني: نقد النظرية وتطويرها	17
خلاصة	18
المحاضرة الثالثة: العلاقات الدلالية1	19
توطئة	19
المبحث الأول: الإطار النظري والتصنيفات الأساسية للعلاقات الدلالية	19
المبحث الثاني: التفاعل مع علم الصرف وتطبيقات قرآنية	21
خلاصة	24
المحاضرة الرابعة: العلاقات الدلالية2	25
توطئة	25
المبحث الأول: الإشكاليات النقدية والحدود المنهجية في العلاقات الدلالية	25
المبحث الثاني: تطبيقات العلاقات الدلالية الحاسوبية وآفاقها التكنولوجية.	31
خلاصة	35
المحاضرة الخامسة: النظرية السلوكية	36
توطئة	36
المبحث الأول: الأسس النظرية للنظرية السلوكية في علم الدلالة	36

المبحث الثاني: أثر النظرية السلوكية في التطبيقات الدلالية المعاصرة	39
خلاصة	42
المحاضرة السادسة: النظرية السياقية	43
توطئة	43
المبحث الأول: الأسس النظرية للنظرية السياقية في علم الدلالة	43
المبحث الثاني: التطبيقات المعاصرة وآفاق النظرية السياقية في علم الدلالة	46
خلاصة	49
المحاضرة السابعة: علم الدلالة البنوي (الدلالة المعجمية والدلالة التأويلية)	50
توطئة	50
المبحث الأول: الأسس النظرية لعلم الدلالة البنيوي	50
المبحث الثاني: التطبيقات والعلاقة مع المناهج الدلالية الأخرى	52
خلاصة	55
المحاضرة الثامنة: الدلالة في النظرية التوليدية التحويلية	56
توطئة	56
المبحث الأول: الأسس النظرية للدلالة في النظرية التوليدية التحويلية	56
المبحث الثاني: تطبيقات الدلالة في النظرية التوليدية التحويلية	59
خلاصة	62
المحاضرة التاسعة: علم الدلالة والمعجمية الاجتماعية الغربية	63
توطئة	63
المبحث الأول: علم الدلالة (السيمانتيك) في الفكر الغربي	63
المبحث الثاني: المعجمية الاجتماعية الغربية	67
خلاصة	70
المحاضرة العاشرة: علم الدلالة المعرفي/ العرفاني	71
توطئة	71
المبحث الأول: الأسس النظرية والمنهجية لعلم الدلالة المعرفي/العرفاني	71
المبحث الثاني: تطبيقات علم الدلالة المعرفي/العرفاني ونظرياته المركزية	73

خلاصة	76
المحاضرة الحادية عشر: نظرية الطراز	77
توطئة	77
المبحث الأول: الأسس النظرية لنظرية الطراز في علم الدلالة	77
المبحث الثاني: التطبيقات والإشكاليات في نظرية الطراز	82
خلاصة	84
المحاضرة الثانية عشر: الدلالة والسيميائيات	85
توطئة	85
المبحث الأول: الأسس النظرية لعلم الدلالة والسيميائيات	85
المبحث الثاني: تطبيقات الدلالة والسيميائيات	87
خلاصة	91
المحاضرة الثالثة عشر: الدلالة والتداوليات1	92
توطئة	92
المبحث الأول: الأسس النظرية للتداوليات	92
المبحث الثاني: تقاطع الدلالة مع التداوليات وتفاعلها معها	94
خلاصة	98
المحاضرة الرابعة عشر: الدلالة والتداوليات2	99
توطئة	99
المبحث الأول: تطبيقات الدلالة التداولية في الخطاب الديني	99
المبحث الثاني: التحديات المعاصرة للدلالة التداولية وتحولاتها الرقمية	102
خلاصة	105
المحاضرة الخامسة عشر: الدلالة الصورية	106
توطئة	106
المبحث الأول: الأسس النظرية للدلالة الصورية	106
المبحث الثاني: التطبيقات والتحديات المعاصرة للدلالة الصورية	109
خلاصة	113

خاتمة	114
قائمة المصادر والمراجع	115
فهرس المحتويات	120